

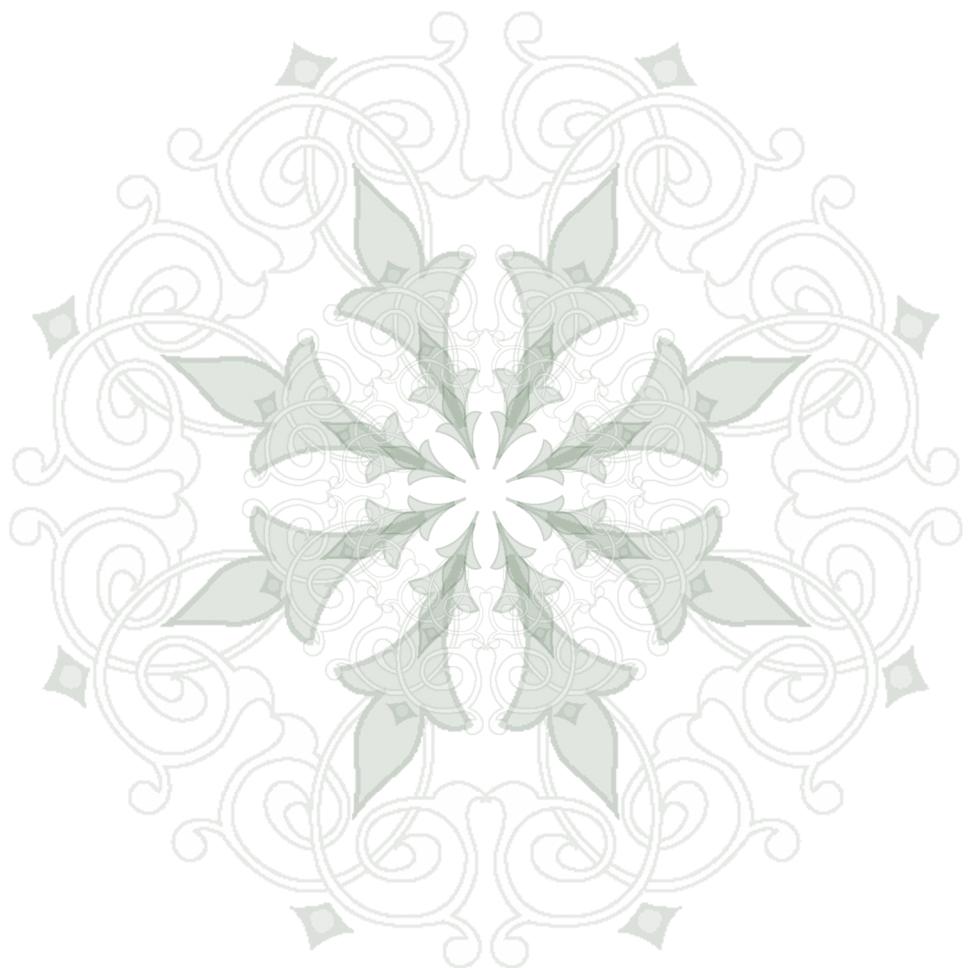
**الفتو**

**المظاهر – الأسباب – العلاج**



**ناصر بن سليمان العمر**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفر له، ونعود بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقٌّ تُقَاتِلُهُ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

. (سورة آل عمران، الآية: ١٠٢). (١٦)

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُولُوا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلَوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا﴾

. (سورة النساء، الآية: ١). (١)

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (سورة الأحزاب، الآيات: ٧٠، ٧١).

أما بعد :

فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن لكل عمل شرّة، والشرّة إلى فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير



ذلك فقد ضل» <sup>(١)</sup>.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «لكل شيء شرّة، ولكل شرّة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه» <sup>(٢)</sup>.

وقد ورد مثل ذلك بروايات وطرق مختلفة، كلها تدل على أن الفتور مما يصاب به السائرون إلى الله من العباد، وطلاب العلم، والدعاة، وغيرهم.

وقد استعاد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه من الفتور في عدة أحاديث ورد فيها استعاذه من العجز والكسل، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان يتغدو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغنم» <sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كثيراً يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وغلبة الدين، وقهر الرجال» <sup>(٤)</sup>.

ولأهمية هذا الموضوع - كما سيأتي بيانه - ولحاجة طلاب العلم

١ - أخرجه أحمد في المسند (٢١٠، ١٦٥، ١٨٨)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٢١٥٢).

٢ - أخرجه الترمذى (٤٤٨/٤) كتاب القيامة رقم (٢٤٥٣) قال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (٢١٥١).

٣ - أخرجه البخاري (١٥٩/٧) كتاب الدعوات، باب [٣٩] ومسلم (٤٢٧٩/٤) كتاب الذكر رقم (٥٨٩).

٤ - أخرجه البخاري (٣٢٤/٣) كتاب الجهاد، باب [٧٤].





والدعاة والمربين إليه، ولضرورة المحافظة على هذه اليقظة المباركة، وتجنيبها المزالق والمعطفات، ومن أخطرها داء الفتور، فقد شغل بالي هذا الموضوع منذ عدة سنوات، فطفت أجمع شتاته، وأقرأ ما كتب فيه، وأتأمل في حقيقته ومآلها، من حيث المظاهر والأسباب وسبل الوقاية، وكنت أكتب وأدون ما وقع تحت يدي مما يدخل في هذا الموضوع، ثم أعرضه على إخواني من المشايخ وطلاب العلم، وأستمع إلى ملحوظاتهم، وأدون إضافاتهم، واستمر هذا الأمر بضع سنوات حتى شعرت أنه قد تجمع لدى ما آمل به النفع، فأعددت ترتيبه وتصنيفه، ثم أقيمت في دروس عامة على فترات مختلفة<sup>(١)</sup>.

وقد طلبت من طلابي المساهمة في إثراء هذا الموضوع فتجاوبوا معي، وجاءتني عشرات الرسائل، فأفدت منها فائدة عظيمة<sup>(٢)</sup> وأخيراً اقترح علي بعض الأحبة أن أخرج هذا الموضوع مكتوباً، بعد أن خرج مسماوماً، فاستعنت بالله، وشرعت في تحقيق هذه الرغبة،وها هو - أخي الكريم - بين يديك، ولذلك فإنني أنبئك إلى ما يلي:

١ - أن هذا الموضوع موضوع علمي تربوي، يلامس الواقع ويعالجه.

٢ - أنني لم أكتب هذا الموضوع لمن أصيّب بداء الفتور، بل كتبته لطلاب العلم والدعاة والمربين وشباب هذه اليقظة المباركة،

١ بدأ من عام ١٤١٣ وذلك في جامع الذياق بحي السعادة بالرياض

٢ - من أهمها بحث أعده الأخ فهد الحربي في الموضوع أفادت منه كثيراً، مع أنه لم يصلني إلا بعد إلقاء الموضوع وكتابته، فجزاه الله خيراً.





وأخيراً هو للفاترين.

ذلك أني أرى أن من لوازم التربية أن يكون المريون والمربيون على معرفة وبيئة بهذا الداء؛ حتى يقوا أنفسهم غوائله؛ ذلك أن الوقاية أسهل من التخلص منه بعد وقوعه.

- ٣ - لقد بذلت ما استطعت؛ من أجل أن يخرج هذا الموضوع بالصورة التي تفي بالغرض، ولذلك مكثت عدة سنوات في إعداده وجمع أطرافه، وساهمت معه عدد كبير من المشايخ وطلاب العلم والدعاة، وهم بالعشرات، وقرأت ما كتب في الموضوع مما وقع تحت يدي<sup>(١)</sup> ومع ذلك فالموضوع متعدد، وقابل للزيادة والإضافة واللاحظة؛ والنقص من طبيعة البشر، فجزى الله خيراً من ساعدني، وببارك الله فيمن سيساعدني في معلومة أو ملحوظة؛ للتعديل أو الإضافة في طبعةقادمة بإذن الله، وغفر الله من تجاوز عن الزلات والهنات، والتمنس لي العذر في النقص والقصير.

إن تجد عيباً فسد الخل جل من لا عيب فيه وعلا

- ٤ - لم أراع - عند ذكر المظاهر والأسباب والعلاج - الترتيب حسب الأهمية، بل قصدت أن تخرج هكذا في تداخل بين الأهم والمهم؛ لأسباب فنية وتربيوية.

- ٥ - قد يلحظ أن هناك بعض التكرار والتدخل بين المظاهر

١ - مما اطلعت عليه وأفدت منه: «ظاهرة ضعف الإيمان» للمنجد، و«الفتور» لجاسم مهلهل، و«آفات على الطريق» لمحمد نوح، و«الفتور في حياة الدعاة».





والأسباب، وكذلك بين الأسباب وسبل العلاج، وهذا أمر له أسبابه العلمية والدعوية؛ فإن التكرار ليس مذموماً لذاته، فبعض القضايا كررت في القرآن عدة مرات لحكم كثيرة.

وبعد فقد أعدت النظر في هذا الكتاب قبل هذه الطبعة وأضفت بعض ما استجد في الموضوع.

وأخيراً :

فإننيأشكر الله - جل وعلا - وأثنى عليه الخير كله، حيث وفق وأuan على إتمام هذا العمل، وأسألـه أن ينفع به، وأن يجعلـه خالصاً لوجهـه الكريم، وأن يجعلـه عونـاً لي فيـ الدنيا، وذخراً فيـ الآخرة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ﴿٨٩﴾ (سورة الشعراـء، الآيتان: .).

وأسـأله أن يغـفر لي خطـيئـتي وزـلـلي، وكلـ ذلك عندـي.  
وأـكـرـرـ شـكـريـ لـكـلـ منـ سـاـهـمـ فيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ، وـمـنـ خـرـجـ  
أـحـادـيـثـ هـتـىـ خـرـجـ مـطـبـوـعاـ.

وصـلـىـ اللهـ وـسـلـمـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

وكتب:

ناصر بن سليمان العمر

كتبـ أـصـلـهـ يـوـمـ الـخـمـيسـ ١٤١٤/٥/٢٧ـ هـ

وـأـعـيـدـ النـظـرـ فـيـهـ فـيـ ١٤٣٤/٨/٢ـ هـ





## أهمية الموضوع

تبثق أهمية الكتابة في موضوع الفتور من خلال ما يلي:

١ - أن الله ذم المنافقين؛ لتشاقلهم عن الصلاة، وكسلهم فيها، ولأنهم لا يخرجون الزكاة إلا وهم كارهون، والتشاقل عن الصلاة والزكاة والجهاد من أسوأ أنواع الفتور وأقسامه، قال سبحانه:

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾، (سورة التوبة، الآية: ٥٤) وقال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَيْلَأً﴾، (سورة النساء، الآية: ١٤٢) وقال: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (سورة التوبة، الآية: ٨١).

وعاتب المؤمنين فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾، (سورة التوبة، الآية: ٣٨) والتشاقل هو الفتور بعينه.

٢ - أن الله دعا إلى نبذ الفتور والكسل؛ وذلك بالمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها، وأنشى على المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) (سورة آل عمران، الآية: ١٣٣)، وقال: ﴿سَارِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا كَعَرَضِ





**السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ** ﴿سورة الحديد، الآية: ٢١﴾.

وأشى على الأنبياء فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ كَا رَغْبًا وَهَبَّا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٩٠).

وقال في سورة الواقعة مبيناً أجر السابقين إلى الخيرات والإيمان: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ١٠ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ١١﴾. (سورة الواقعة، الآيات: ١٠، ١١).

فالمتسابقة والمسارعة من لوازمهما وأثارهما نبذ الفتور والكسل والترابي.

- استعاذه الرسول ﷺ منه، كما ورد في عدة أحاديث صححها، منها ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ كان يتعدوز يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من البخل» <sup>(١)</sup>.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم» <sup>(٢)</sup>.

١ - أخرجه البخاري (١٦٠/٧) كتاب الدعوات باب [٤٢] واللفظ له ومسلم (٤/٢٠٧٩) كتاب الذكر، رقم (٢٧٠٦).

٢ - أخرجه البخاري (١٥٩/٧) كتاب الدعوات، باب [٣٩] ومسلم (٤/٢٠٧٩) كتاب الذكر، رقم (٥٨٩).





وكان عليه السلام يستعيذ من الكسل إذا أصبح وإذا أمسى، كما في حديث ابن مسعود عند مسلم <sup>(١)</sup>. وذكر أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه وسلم كثيرا يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وقهـر الرجال» <sup>(٢)</sup>.

وعند مسلم، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل» الحديث <sup>(٣)</sup>.

٤ - خطورة الفتور: حيث يؤدي بكثير من الناس إلى الانحراف، حيث إن الفتور مرحلة وسطية بين الالتزام وبين الانحراف. ولا أدل على خطورته من كثرة استعادة رسول الله صلوات الله عليه وسلم منه في الصباح والمساء، وتعليمـه لأصحابه أن يتـعوذوا بالله منه، كما سبق.

٥ - أن الكسل والفتور لا يختص بطائفة معينة من الناس، بل إنه يسري في الناس على مختلف طبقاتهم وأعمارهم وأحوالهم، لا يكاد ينجو منه أحد إلا من سلم الله - وقليل ما هم - فهو يصيب العلماء والعباد والجهال، والشيوخ والشباب، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراـء، والأصـحـاء والمـرضـى، والـمتـقـينـ والـفـسـاقـ، ولـكـنـ تـخـتـلـفـ الإـصـابـةـ قـوـةـ وـضـعـفـاًـ؛ـ لـأـسـبـابـ وـعـوـامـلـ يـأـتـيـ ذـكـرـهاـ.

٦ - أن طلاب العلم والدعاة والمربين بأمس الحاجة إلى رسالة تبين

١ - صحيح مسلم (٤/٢٠٨٩) كتاب الذكر، رقم (٢٧٢٣) [٧٥].

٢ - أخرجه البخاري (٣/٢٢٤) كتاب الجهاد، باب [٢٤].

٣ - أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٨) كتاب الذكر، رقم (٢٧٢٢).





هذا الموضوع، وتكشف عن جوانبه من حيث المظاهر والأسباب وطرق الوقاية؛ لتكون معينة لهم في تربية طلابهم،<sup>(١)</sup> وتجنيبهم هذه المزالق، مع تخلص من وقع منهم في هذا البلاء، وهي كذلك رسالة لجميع الناس، على اختلاف أحوالهم وأوضاعهم.

وحيث إنني لم أجد رسالة تفي بالغرض، وتسد النقص، وتتصف بالشمول، وإنما هي رسائل تناولت بعض جوانبه، مع اختصار شديد، وهي رسائل نافعة ولها فضل السبق، وأفادت منها في هذه الرسالة، ولكن – كما قلت – لم تكن على مستوى حجم القضية وضخامتها، ولم تُجب عن كثير من الأسئلة التي تلح على العاملين في حقل الدعوة وال التربية، فجزى الله هؤلاء خير الجزاء.

ومع ذلك فلا أدعي أن هذه الرسالة ستغنى عن غيرها – سواء مما سبق أو مما قد يأتي – وإنما هو جهد المقل، ومحاولة المجتهد، والكمال لله جل وعلا.



١ - وبخاصة أن بعضهم قد بدأ الفتور يدب في أوصاله.





## الفتور

**تعريف الفتور:**

عرف علماء اللغة الفتور بعده تعرifications متقاربة يكمل بعضها  
بعضًا، ويوضح بعضها الآخر:

قال في مختار الصحاح: الفترة: الانكسار والضعفُ. و"طرف فاتر":  
إذا لم يكن حديداً<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: و"المفتر": الذي إذا شُرب أحمى الجسد، وصار فيه  
فتور، وهو ضعف وانكسار.

يقال: "أفتر الرجل، فهو مفتر" إذا ضعفت جفونه وانكسر طرفه<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب: الفتور: سكن بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف  
بعد قوة، قال تعالى: ﴿يَأَهِلُّ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الْرُّسُلِ﴾ (سورة المائدة، الآية: ١٩)، أي: سكون حال عن مجيء رسول  
الله ﷺ وقوله: ﴿لَا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٢٠)، أي: لا  
يسكونون عن نشاطهم في العبادة<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن منظور: وفتر الشيء والحر، وفلان يفتر فتوراً، وفتراً:

١ - انظر مختار الصحاح، مادة (فتر).

٢ - انظر النهاية لابن الأثير ٤٠٨/٣.

٣ - انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٣٧١.





سكن بعد حدة، ولان بعد شدة<sup>(١)</sup>.

ونخلص من هذا إلى أن الفتور هو: الكسل والترابي والتباطؤ بعد الجد والنشاط والحيوية<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: الملال: استئصال الشيء، ونفور الناس عنه بعد محبته<sup>(٣)</sup>.

وهو داء يصيب بعض العباد والدعاة وطلاب العلم، فيضعف المرء ويترابي ويكسد، وقد ينقطع بعد جد وهمة ونشاط.

والمصابون بهذا الداء ثلاثة أقسام:

- ١ - قسم يؤدي بهم الفتور إلى الانقطاع كلياً، وهو كثير.
- ٢ - قسم يستمر في حالة الضعف والترابي دون انقطاع، وهو الأكثر.
- ٣ - قسم يعود إلى قرب حالته الأولى، وهو قليل.



١ - انظر: لسان العرب، مادة (فتر).

٢ - انظر: آفات على الطريق ٩/١.

٣ - انظر: فتح الباري ١٢٦/١.





## أقسام الفتور<sup>(١)</sup>

وينقسم الفتور إلى عدة أقسام، أهمها:

١ - كسل وفتور عام في جميع الطاعات، مع كره لها وعدم رغبة فيها، وهذه حال المنافقين؛ فإنهم من أشد الناس كسلا وفتوراً ونفوراً.

قال الله - جل وعلا - فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَلِدٌ عُنْهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية: ١٤٢) وقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفْقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (سورة التوبه، الآية: ٥٤)، وقال: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُونَ أَنْ يُجْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُ أَنْفَرُ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّاً لَوْ كَانُوا يَعْقِهُونَ﴾ (سورة التوبه، الآية: ٨١).

وقال ﷺ: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو علمنون ما فيهما؛ لأنهما ولو حبوا»<sup>(٢)</sup>.

(١) هذه الأقسام تختلف عما سبق، فتأمل.

٢ - أخرجه البخاري (١٦٠/١) كتاب الأذان، باب [٣٤]، ومسلم (٤٥١/١) كتاب المساجد، رقم (٦٥١) [٢٥٢].



ولفظ (أثقل) على صيغة (أفعل) يدل على أن غيرهما ثقيل، وليس الثقل مقتراً عليهم.

- ٢ - كسل وفتور في بعض الطاعات، يصاحبها عدم رغبة فيها دون كره لها، أو ضعف في الرغبة مع وجودها، وهذه حال كثير من فساق المسلمين وأصحاب الشهوات.

وهذان القسمان سببهما مرض في القلب، ويقوى هذا المرض ويضعف بحسب حال صاحبه، فمرض المنافقين أشد من مرض الفساق وأصحاب الشهوات؛ فهم يتمتعون بصحة في أجسامهم وأبدانهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعِجِّبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾، (سورة المنافقون، الآية: ٤). ولكن قلوبهم مريضة. قال سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٠).

- ٣ - كسل وفتور عام سببه بدني لا قلبي؛ فتجد عنده الرغبة في العبادة، والمحبة للقيام بها، وقد يحزن إذا فاتته، ولكنه مستمر في كسله وفتوره، فقد تمر عليه الليالي وهو يريد قيام الليل، ولكنه لا يفعل – مع استيقاظه وانتباهه – ويقول: "سأختم القرآن في كل شهر" وتمضي عليه الأشهر ولم يتمه، ويحب الصوم، لكنه قليلاً ما يفعل. وهذه حال كثير من المسلمين الذين يصابون بهذا الداء، ومنهم أناس صالحون، وآخرون من أصحاب الشهوة والفسق.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ إِمَانُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي



**سَيِّلَ اللَّهُ أَنَا قَلَّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** ﴿سورة التوبه، الآية: ٣٨﴾.

وقد يؤدي هذا النوع إلى أن يشترك بعض المصابين به مع النوع الثاني؛ وهو الثقل القلبي في بعض العبادات.

٤ - كسل وفتور عارض يشعر به الإنسان بين حين وآخر، ولكنه لا يستمر معه، ولا تطول مدة، ولا يوقع في معصية، ولا يخرج عن طاعة. وهذا لا يسلم منه أحد، إلا أن الناس يتفاوتون فيه أيضاً، وسببه - غالباً - أمر عارض، كتعب أو انشغال أو مرض ونحوها.

وهذا النوع هو الذي يذكره الصحابة - رضي الله عنهم - ومنه ما رواه مسلم في صحيحه عن حنظلة الأسidi، وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال: «لقيني أبو بكر فقال: "كيف أنت يا حنظلة؟" قال: قلت: "نافق حنظلة»، قال: "سبحان الله! ما تقول؟" قال: قلت: "نكون عند رسول الله ﷺ يذكرون بالنار والجنة، حتى كأننارأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضياعات، فنسينا كثيراً". قال أبو بكر: "فوالله إنما لنلقى مثل هذا" فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ثم قال له مثما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر؛ لصاحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة - ثلاث مرات»<sup>(١)</sup>.

وروى أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت لعبد الله بن

١ - أخرجه مسلم (٢١٠٦/٤) كتاب التوبة رقم (٢٧٥٠).



قيس: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل؛ صلى قاعداً» <sup>(١)</sup>.

ولهذا فإبني في هذه الرسالة لن أتحدث عن هذا النوع؛ لأنه طبيعي، ولا عن النوع الأول؛ لاختصاصه بالمنافقين أو من به خصلة من النفاق، وإنما سيكون التركيز على القسمين الثالث والثاني.



١ - أخرجه أبو داود (٣٢/٢) كتاب الصلاة، رقم (١٣٠٧)، وأحمد في المسند (٢٤٩/٦) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود، رقم (١١٨٠).





## أدلة الفتور في الكتاب والسنة

ورد لفظ الفتور ومعناه في عدة آيات وأحاديث في الكتاب والسنة، وسأذكر بعض هذه النصوص؛ لإلقاء مزيد من الضوء حول معنى الفتور، وسأذكرها باختصار؛ حيث إن أكثرها سيرد عند ذكر الأسباب مفصلاً.

- ١ - قال الله - تعالى - مثيا على الملائكة: ﴿ يُسِّحُونَ إِلَيْهِ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٢٠)، أي: لا يضعفون ولا يأسمون.
- ٢ - وجاء في آية مشابهة: ﴿ يُسِّحُونَ لَهُ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعُمُونَ ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٨).
- ٣ - وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْئُمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَيَّ أَجْلِيهِ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٢).
- ٤ - وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْعُمُ الْإِنْسَنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ . (سورة فصلت، الآية: ٤٩).
- ٥ - وقال عن أهل النار من المجرمين: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبِلِسُونَ ﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٧٥).





٦ - وقال جل وعلا : ﴿ يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (سورة المائدة، الآية: ١٩)، أي: انقطاع.

٧ - ومما يدخل في معناه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَضْعَفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٤٦).

أما الأحاديث؛ فهي كثيرة، ومما ورد في ذلك ومعناه:

١ - عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال ﷺ "حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء شرّة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب؛ فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع؛ فلا تدعوه»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد بـاللفاظ وطرق أخرى، منها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كانت مولاًة للنبي ﷺ تصوم النهار وتقوم الليل، فقيل له: "إنها تصوم النهار وتقوم الليل" فقال رسول الله ﷺ "إن لكل عمل شرّة، والشرّة إلى فترة، فمن كانت فترته

١ - أخرجه البخاري (٤٨/٢) كتاب التهجد، باب [١٨] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب المسافرين، رقم (٧٨٤).

٢ - أخرجه الترمذى (٥٤٨/٤) كتاب القيامة، رقم (٢٤٥٣) قال الترمذى: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألبانى - انظر صحيح الجامع، رقم (٢١٥١).





إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: "فقد هلك".

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل عالم شرة، ولكل شرة فترة،  
فمن فتر إلى سنتي؛ فقد نجا، وإنما فقد هلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: «ذكر عند النبي ﷺ قوم يجتهدون في العبادة اجتهادا شديداً، فقال: «تلك ضرورة الإسلام وشرته، ولكل عمل شرة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد؛ فنعم ما هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي؛ فأولئك هم الماكون»<sup>(٣)</sup>.

- ٣ - وعن عائشة - رضي الله عنها : «أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، فقال : «من هذه» ؟ قالت : «هذه فلانة» تذكر من صلاتها .. قال : «مه ، عليكم بما تطريقون؛ فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه»<sup>(٤)</sup>.

- ٤ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكون مثل فلان؛ كان يقوم الليل

١ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٢/٢، ٢٦١/٢): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

٢ - أخرجه أحمد في المسند (١٥٨/٢).

٣ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٢/٢): رواه الطبراني في الكبير، وأحمد بن حمود، ورجال أحمد ثقات. اهـ. انظر المسند (١٦٥/٢) ولفظه: «تلك ضراوة الإسلام وشدته».

٤ - أخرجه البخاري (١٦/١) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين رقم (٧٨٥) [٢١٨].



فتركه»<sup>(١)</sup>.

٥ - عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من البخل»<sup>(٢)</sup>.

٦ - وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فكنت أسمعه يكرأن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وقهر الرجال»<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة معلومة.

وقد ورد عن بعض العلماء أقوال مهمة في هذا الباب، أو جزء بعضها:  
 قال ابن مسعود رضي الله عنه لما بكى في مرض موته: "إنما أبكي لأنه أصابني في حال فترة، ولم يصبني في حال اجتهد". وعنده رضي الله عنه قال: "لا تغالبوا هذا الليل؛ فإنكم لن تطيقوه، فإذا نعش أحدكم فلينصرف إلى فراشه؛ فإنه أسلم له"<sup>(٤)</sup>.

١ - أخرجه البخاري (٤٩/٢) كتاب التهجد، باب [١٩] ومسلم (٨١٤/٢) كتاب الصيام رقم (١٨٥).

٢ - أخرجه البخاري (١٦٠/٧) كتاب الدعوات، باب (٤٢) ومسلم (٢٠٧٩/٤) كتاب الذكر، رقم (٢٧٠٦) واللفظ للبخاري.

٣ - أخرجه البخاري (٢٢٤/٣) كتاب الجهاد، باب [٢٤].

٤ - مجمع الزوائد ٢/٢٦٠.



وقال الإمام النووي شارحاً لحديث عائشة - رضي الله عنها: فيه الحث على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق، والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وأنه إذا فتر فليقععد حتى يذهب الفتور<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: تخلل الفترات للسالكين أمر لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم؛ رُجى له أن يعود خيراً مما كان.





## مظاهر الفتور<sup>(١)</sup>

للفتور مظاهر نستطيع أن ندرك من خلالها أن الفتور قد دب في أوصال صاحبها، علماً بأن بعض هذه المظاهر يعرفها [الفاتر] نفسه؛ حيث قد لا يدركها غيره إلا بصعوبة وطول زمن.

وقد يجتمع في الفرد أكثر من مظاهر من هذه المظاهر، علماً بأنها تتقاوت من حيث خطورتها وأثرها على صاحبها.

ومن أهم مظاهر الفتور ما يلي:

١ - التكاسل عن العبادات والطاعات، مع ضعف وثقل أشياء أدائها، ومن أعظم ذلك الصلاة؛ قال سبحانه واصفاً المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (سورة النساء، الآية: ١٤٢)، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (سورة التوبه، الآية: ٥٤).

ويدخل في هذا الضعف عن قيام الليل وصلاة الوتر وأداء السنن والرواتب، وبخاصة إذا فاتته، فقل أن يقضيها.

ومن ذلك الغفلة عن قراءة القرآن وعن الذكر<sup>(٢)</sup> وأن يوجد ثقلًا في ذلك، وانصرافاً عنه.

١ - هذه المظاهر هي في الحقيقة بعض آثار الفتور، وهي آثار لها ما بعدها.

٢ - وهذا الأمر سبب ومظاهر.





- ٢ الشعور بقسوة القلب وخشونته، فلم يعد يتأثر بالقرآن والمواعظ، ورانت عليه الذنوب والمعاصي، قال سبحانه: ﴿كَلَّا بُلَّ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين، الآية: ١٤)، ويکاد يصدق عليه وصف الله لقلوب اليهود: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِي كَالْحَجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (سورة البقرة، الآية: ٧٤).

ويصل من قسوة قلبه ألا يتأثر بموت ولا ميت، ويرى الأموات ويمشي في المقابر وكأن شيئاً لم يكن، وكفى بالموت واعظاً، وأعظم من ذلك عدم تأثيره بآيات الله وهي تتلى عليه، ويسمع آيات الوعيد والوعيد، فلا خشوع ولا إخبارات، والله - جل وعلا - يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِلَّا قُرْءَانٌ مَّنْ يَخَافُ وَعِيدٍ﴾ (سورة ق، الآية: ٤٥) ومدح المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذِكِّرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٢).

- ٣ ويصل الفتور إلى درجة أبعد إذا أله الوقوع في المعاصي والذنوب، وقد يصر على بعضها ولا يحس بخطورة ما يفعل، ويقول: "هذه صغيرة، وتلك أخرى" وهلم جرا.. وقد يصل به الأمر إلى المجاهرة، والمصطفى ﷺ يقول: «كل أمتي معافي إلا المجاهرين»<sup>(١)</sup>. وأشار هنا إلى أن هناك فرقاً بين الفتور والانحراف، ولكن الفتور قد يصل بصاحبه

١ - أخرجه البخاري (٨٩/٧) كتاب الأدب، باب [٦٠] ومسلم (٢٢٩١/٤) كتاب الزهد، رقم (٢٩٩٠).





إلى الانحراف إن لم يتداركه الله بمنة منه وفضل.

٤ - ومن أبرز مظاهر الفتور: عدم استشعار المسؤولية الملقاة على عاتقه، والتساهل والتهاون بالأمانة التي حمله الله إياها، فلا تجد لديه الإحساس بعظم هذه الأمانة، والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقُنَا مِنْهَا وَجَاهُنَا﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٧٢).

وقد تحدثه ساعة ويحدثك أخرى، فلا تجد أن هم الدعوة يجري في عروقه، أو يورق جفونه ويقض مضجعه.

ومما يلحق بهذا الباب أنك تجد هذا [الفاتر] أصبح يعيش بلا هدف أو غاية سامية، فهبطت اهتماماته وسفلت غاياته، وذلت مطامحه ومازبه.

وتبعاً لذلك فلا قضايا المسلمين تشغله، ولا مصابئهم تحزنه، ولا شؤونهم تعنيه، وإن حدث شيء من ذلك فعاطفة سرعان ما تبرد وتخدم ثم تزول.

٥ - ومن أسوأ المظاهر: انقسام عرى الأخوة بين المتحابين، وضعف العلاقة بينهم، بل قد يصل الأمر إلى الوحشة بينهم، ومن ثم التهرب والصدود والبعد والجفاء.

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما توارد اثنان في الله أو في الإسلام، فيفرق بينهما أول ذنب [وفي رواية: ففرق بينهما إلا بذنب] ي حدثه





أحدهما<sup>(١)</sup>.

فيميل الإنسان إلى العزلة، أو يستعيض بإخوانه السابقين آخرين يزجون وقته، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فإذا التقى إخوانه الصالحين؛ كان لقاء مجاملة واضطراراً، تمر ساعاته عليه ثقيلة، ولو أمكنه الهروب لفعل، وما هو من ذلك ببعيد.

فاللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، واجعلنا من المتحابين في جلالك ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا مُتَّقِينَ﴾

﴿٦٧﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٦٧).

- ٦- الاهتمام بالدنيا والانشغال بها عن العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله، والدنيا حلوة خضرة، فقل أن ينجو منها من يقع فيها، ولذلك كم رأينا من إنسان عرف بطلب العلم والنشاط في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم طلب الدنيا وولغ فيها، فتعلق قلبه بها، وأصبحت همه وشغله الشاغل، وآللت حاله إلى الحرص والشح والبخل ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر، الآية: ٩).

- ٧- كثرة الكلام دون عمل يفيد الأمة وينفع الأجيال، فتجد هذا النوع يتحدثون بما عملوا سابقاً، وكنا وكنا، وكنت وكنت ويتسلون بهذا القول عن العمل الجاد المثمر، والله جل وعلا يقول:

١ - أخرجه أحمد في المسند (٦٨/٢)، (٧١/٥) قال الهيثمي في المجمع (٢٧٨/١٠): إسناده حسن.





﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٢٦ ﴿ كَبُرُّ مَقْتَانِ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٢٧﴾، (سورة الصف، الآيات: ٢، ٣)، وتجد هذا الصنف يكثُر من الجدل والمراء وطرح النظريات العقيمة، وهذا مصدق قول المصطفى ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى إلا أتوا الجدل»<sup>(١)</sup>.

-٨- ومن المظاهر: الغلو في الاهتمام بالنفس مأكلًا ومشربًا وملبسًا ومركباً، فبدل أن كان لا يلقي لهذه الأشياء بالاً إلا في حدود ما شرع الله ﷺ ﴿ يَبْيَنِي إِدَمْ حُذُونَ وَزِينَتَكُمْ عِنْدَكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَشَرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾٣١﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٣١)، إذا هو ينفق الوقت والمال والاهتمام في هذه القضايا الجانبية، وهي أمور كمالية وتحسينية، ولكن هكذا يعمل الفراغ بأهلة.

-٩- انطفاء الغيرة وضعف جذوة الإيمان، وعدم الغضب إذا انتهكت محaram الله، فيرى المنكرات ولا تحرك فيه ساكناً، ويسمع عن الموبقات وكأن شيئاً لم يكن، وقد يكتفي بالحوقلة والاسترجاع إن كان فيه بقية.

من يهل يسهل الهوان عليه      مَا لِجَرْحٍ بِمَيْتٍ إِلَّام

-١٠- وأختتم مظاهر الفتور بهذه المظاهر التي آمل أن يتأملها القارئ جيداً؛ لأهميتها وصدقها في الدلالة على الفاترين:

١ - أخرجه الترمذى (٣٥٣/٥) كتاب التفسير، رقم (٣٢٥٣). وابن ماجه (١٩/١) في المقدمة رقم (٤٨) وأحمد في المسند (٥/٢٥٢، ٢٥٦). قال الترمذى: حديث حسن صحيح.





- أ- ضياع الوقت وعدم الإفادة منه، وتزجيته بما لا يعود عليه بالنفع، وتقديم غير المهم على المهم، والشعور بالفراغ الروحي والوقتي وعدم البركة في الأوقات، وتمضي عليه الأيام لا ينجز فيها شيئاً يذكر.
- ب- عدم الاستعداد للالتزام بشيء، والتهرب من كل عمل جدي؛ خوفاً من أن يعود إلى حياته الأولى. هكذا يسُوّل له شيطانه زخرف القول غروراً.
- ج- الفوضوية في العمل: فلا هدف محدد، ولا عمل متقن، أعماله ارتجالاً، يبدأ في هذا العمل ثم يتتركه، ويشرع في هذا الأمر ولا ينتهيه، ويسير في هذا الطريق ثم يتتحول عنه، وهكذا دوالياً.
- د- خداع النفس؛ بالانشغال وهو فارغ، وبالعمل وهو عاطل، يشغل في جزئيات لا قيمة لها ولا أثر يذكر، ليس لها أصل في الكتاب أو السنة، وإنما هي أعمال يقنع نفسه بجدواها، ومشاريع وهمية لا تسمن ولا تغني من جوع.
- هـ- النقد لكل عمل إيجابي؛ تتصلا من المشاركة والعمل، وتضخيم الأخطاء والسلبيات؛ تبريراً لعجزه وفتوره، تراه يبحث عن المعاذير، ويصطنع الأسباب؛ للتخلص والفرار ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرّ قُلْ نَارٌ جَهَنَّمُ أَشَدُ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية: 81).





و- التسويف والتأجيل، وكثرة الأماني وأحلام اليقظة: يبني مشاريع من سراب، ويقيم أعمالاً من خيال، عمل اليوم يؤخره أياماً، وما يمكن أن يؤدي في أسبوع يمكث فيهأشهراً، وفي كل يوم يزداد إفلاساً وفتوراً.





## أسباب الفتور

للفتور أسباب كثيرة ومتعددة، إذا سلم المسلم من بعضها؛ فقل أن يسلم من بعضها الآخر، وهذه الأسباب بعضها عام، وبعضها خاص، أي أن عدداً من هذه الأسباب يؤدي إلى الفتور في العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله، وبعضها يكون خاصاً في جانب دون آخر.

وسأركز في هذه الرسالة على الأسباب التي تؤدي إلى الفتور في الدعوة إلى الله، مع أن عدداً من الأسباب التي سأذكرها توصل صاحبها إلى الفتور والكسل والترaxي في العبادة<sup>(١)</sup> وطلب العلم.

وأسأثير عند بعض الأسباب إلى شيء من العلاج باختصار، مع أن العلاج سيأتي مفصلاً في باب مستقل؛ وذلك لأن الإشارة للعلاج عند ذكر السبب لها وقع خاص، وتأثير لا ينكر.

### ١- عدم الإخلاص أو عدم مصاحبته

الإخلاص أحد ركني قبول العمل؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، قال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخَلِّصِينَ لَهُ الْدِينَ حُنَفَاءٌ ﴾، (سورة البينة، الآية: ٥) وقال: ﴿ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَالِصُ ﴾، (سورة الزمر، الآية: ٣)، وقال: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنَّ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الْدِينَ ﴾،

١ - أقصد العبادة في معناها الخاص، وإلا فكل هذه الأشياء عبادة، فطلب العلم والدعوة إلى الله من أعظم أنواع العبادة، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٦].





(سورة الزمر، الآية: ١١)، والآيات في هذا الباب كثيرة.

ويفي الحديث القدسـي: «أنا أغنـى الشركـاء عن الشرـك، من عمل عمـلاً أشـركـي فـيـه مـعـي غـيرـي؛ تـرـكـتـه وـشـرـكـه»<sup>(١)</sup>.

والإخلاص يدفع المسلم إلى الجد والاجتهاد، وعدم الملل والسامـة؛ حيث إنه يرجـو ما عند الله، ويـخـاف عـقـابـه، قال سـبـحـانـه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلْ عَمَالًا صَنِلْحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الزمر، الآية: ١١).

أما إذا ضـعـف الإـخـلاـص أو دـبـ الـرـيـاء فيـ قـلـبـ المـسـلـم؛ فـسـرـعـانـ ما يـخـبو حـمـاسـه، وـتـضـعـف عـزـيمـتـه.

وهـذـا الـبـاب يـدور عـلـى عـدـة حالـاتـ، أـهـمـها حـالـتـانـ:

أـ - إـمـا أـنـ يـكـونـ أـسـاسـ الـعـلـمـ غـيرـ مـقـرـونـ بـالـإـخـلاـصـ، كـمـا قـالـ:

صـلـى المصـلـي لـأـمـرـ كـانـ يـطـلـبـه فـلـمـ اـنـقـضـى الـأـمـرـ لـاـ صـلـىـ وـلـاـ صـامـ

بـ - أـوـ يـكـونـ أـسـاسـ الـعـلـمـ خـالـصـاـ ثـمـ جـاءـتـ بـعـضـ الصـوـارـفـ

فـأـضـعـفـتـ الإـخـلاـصـ: مـنـ رـيـاءـ، وـسـمـعـةـ، وـحـبـ جـاهـ، وـطـلـبـ دـنـيـاـ؛ فـبـدـلـ أـنـ

كـانـ الـعـلـمـ لـلـهـ خـالـصـاـ، إـذـ صـاحـبـتـهـ أـغـرـاضـ أـخـرـىـ طـارـئـةـ، فـذـهـبـتـ

بـرـيـحـهـ، أـوـ قـضـتـ عـلـيـهـ.

وـمـنـ هـنـا فـعـلـىـ المـسـلـمـ أـنـ يـتـعـاهـدـ إـخـلاـصـهـ، وـأـنـ يـجـدـهـ عـنـ كـلـ

١ - أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ (٢٢٨٩/٤) كـتـابـ الزـهـدـ رقمـ (٢٩٨٥).





عمل يرجو به وجه الله؛ فإن هذا أبقى له وأنقى ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ وَلَا كُرَهَ الْكُفَّارُ﴾ (سورة غافر، الآية: ١٤).

## ٢- ضعف العلم الشرعي:

الجهل داء قاتل، ومما يزيد في خطورته أن صاحبه لا يدرك الأثر الذي يخلفه هذا المرض؛ لأنَّه جاهل، وفاقد الشيء لا يعطيه.

فكَلما ضعف العلم الشرعي لدى المسلم، كان أكثر عرضة لأن يصاب بداء الفتور؛ وذلك أنه يجهل الأدلة الشرعية التي تحت على العبادة والعمل وطلب العلم، ولا يعلم الأثر المترتب على العمل؛ مما يضعف من عزيمته، كما أنه لم يحط بقيمة الصبر وأثره، وجذب الصابرين؛ مما يقلل من احتماله، ويكثر من شکواه، ومن ثم ترك ما هو عليه.

وعند التأمل في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُؤُ الْأَلَبَّ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٩)، وفي قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مَنْ عَبَادَهُ الْعَلَمَوْا﴾ (سورة فاطر، الآية: ٢٨)، ندرك هذه الحقيقة، ومن ثم نعرف العلاج.

## ٣- تعلق القلب بالدنيا، ونسيان الآخرة:

من أعظم أسباب الفتور: أن يطغى حب الدنيا على حب الآخرة، ومن ثم يتعلق القلب بها، ويضعف إيمانه شيئاً فشيئاً، حتى تصبح العبادة ثقيلة مملة، ويجد لذته وسلوah في الدنيا وفي حطامها، حتى



ينسى الآخرة أو يكاد، ويغفل عن هاذم اللذات، ويبدأ عنده طول الأمل، وما اجتمعت هذه البلايا في شخص إلا أهلكته.

والرسول ﷺ يقول: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم»<sup>(١)</sup> وفي لفظ: «تعس عبد الدينار والدرهم»<sup>(٢)</sup>.

وواقع الناس اليوم ينذر بخطر، حتى رأينا عدداً من طلاب العلم ضعفوا عن الطلب، وانشغلوا عنه بغيره، بجمع الحطام، والبحث عن المناصب والجاه.

وهنا مسألة يحسن التبليغ عنها، وهي: أن بعض الدعاة قد يبدأ في الاستغلال بالدنيا؛ من أجل الكفاف والاستغناء عن الآخرين، وحتى لا يصبح أسيراً للوظيفة طول حياته. وهذا أمر محمود وغاية جليلة، ولكن سرعان ما تتفتح عليه الدنيا، وتبدأ المطامع تتحرك بين جنبيه، ويسوّل له الشيطان هذا الأمر؛ باسم الدعوة والمشاريع الإسلامية، وشيئاً فشيئاً، حتى يتعلق قلبه، وينشغل بها عن علمه ودعوته، وكان يكفيه الكفاف، كما قال المصطفى ﷺ: «إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب»<sup>(٣)</sup>.

والدنيا حلوة خضراء، كما بين الرسول ﷺ: «إن الدنيا حلوة

١ - أخرجه البخاري (٢٢٣/٢) كتاب الجهاد باب [٧٠].

٢ - أخرجه البخاري (١٧٥/٧) كتاب الرقاق، باب [١٠].

٣ - أخرجه الترمذى (٢١٥/٤) كتاب اللباس، رقم (١٧٨٠) قال الترمذى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان قال: وسمعت محمداً يقول: صالح بن حسان منكر الحديث.



حضره، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء..» الحديث <sup>(١)</sup>.

ومما يدخل في هذا الباب: التعلق بالمناصب والترقيات والعلاوات، والإكثار من الحديث عنها، وانشغال القلب بها عما هو أعظم منها، وصدق الله العظيم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٣٤).

#### ٤- فتنة الزوجة والأولاد

طلبت من طلابي أن يشاركوني في ذكر أهم أسباب الفتور، فلفت نظري عشرات الرسائل التي أشارت إلى أن الزواج من أهم هذه الأسباب، وهؤلاء الطلاب يحكون عن تجربة رأوها في عدد من زملائهم وأخوانهم، وقد يكون بعضهم وقع في هذا البلاء فأنقذه الله منه.

وهنا تذكرت قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْنَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٢٨)، وقوله: ﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَرْوَاحُكُمْ وَأَوْنَادُكُمْ عَدُوَّ الَّكُمْ فَلَا حَذَرُوهُمْ﴾ (سورة التغابن، الآية: ١٤).

وقد ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الولد محزنة مجنة مجنة مبخلة» <sup>(٢)</sup>

١ - أخرجه مسلم (٤٠٩٨) كتاب الذكر، رقم (٢٧٤٢).

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (١٩٩٠).





وقال: «إن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»<sup>(١)</sup>.

إن الزوجة قد تكون عوناً على العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله<sup>(٢)</sup> وقد تكون بلاء وفتنة، وأشدتها هي التي لا يحس الإنسان بخطورتها، بل قد يعدها نعمة وحبه الله إياها؛ لجمالها أو مالها أو دلالها، وهي مصيبة قد حلّت في بيته وهو لا يعلم، فأخبت الأمراض أخفاها، وشر الأعداء أحلاها<sup>(٣)</sup>.

أما الأولاد: فالخطورة تأتي من الانشغال بهم عن دينه، والحرص على تأمين مستقبلهم، وما أمن من مستقبله، والخوف عليهم بعد وفاته، ولم يخف على نفسه – وهي الأحق بذلك – فيضيع عمره بين زوجة وولد، وصدق الله العظيم: ﴿رُّبُّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنَّطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمَ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَكِعُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدُهُ حُسْنُ الْمَعَابِ﴾<sup>(٤)</sup>  
(سورة آل عمران، الآية: ١٤).

ومما يجدر التتبّه له هنا: أن بعضهم قد تختلف حاله في العبادة وطلب العلم والدعوة بعد زواجه، فيحكم عليه الناس بالفتور والتراخي، وقد يهمزونه أو يلمزونه، وهذا الأمر فيه تفصيل، فإن كان اختلف

١ - أخرجه مسلم (٤٠٩٨) كتاب الذكر رقم (٢٧٤٢).

٢ - كما كانت خديجة رضي الله عنها، وسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

٣ - لأن الحلاوة تذهب عن العداوة، وكم من الناس من فتر بسبب زوجة أو مال أو ولد، فهم زينة وعدو وفتنة.





حاله بسبب قيامه بالحقوق الشرعية لأهله وأولاده، دون أن يصل إلى حد الإخلال والتغريط في عبادته وعلمه ودعوته، فهذا أمر طبيعي، ولا يمكن أن تكون حاله وقد التزم بمسؤوليات جديدة كحاله عندما كان شاباً حراً طليقاً، والرسول ﷺ قد صدق سلمان عندما قال لأبي الدرداء - رضي الله عنهمَا: «إِن لَرِبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَإِن لَنفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» <sup>(١)</sup>.

أما إن كان الزواج ومن ثم الأولاد قد قعدوا به مع القاعدين فهنا

الخطورة، وهذه حال المنافقين الذين قالوا: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ (سورة الفتح، الآية: ١١). والناس في هذا الباب بين إفراط وتغريط، والعدل هو الوسط، وإعطاء كل ذي حق حقه من غير بخس ولا شطط، وأن يكون المسلم على حذر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup> (سورة التغابن، الآية: ١٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّاللَّهِ فَاحذَرُوهُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> (سورة التغابن، الآية: ١٤) والأولاد (مجبنة مبخلة)

## ٥ - الحياة في الأجواء الفاسدة

وذلك بكون المسلم يعيش في وسط يعج بالمعاصي، ويتفاخرون بالآثام، حديثهم عن اللذات المحرمة، وسماعهم للأصوات الفاجرة، ورؤيتهم للمشاهد والمسرحيات والتمثيليات الفاسدة، تحييهم السباب،

١ - أخرجه البخاري (٢٤٣/٢) كتاب الصوم، باب [٥١].





وتأثيرهم اللعان، وhelm جرّاً.

إن هذا المجتمع الصغير الذي يحيط بال المسلم يضعفه، وقد لا يستطيع المقاومة، فيدب الفتور في أوصاله، ويسري التراخي إلى عبادته وأعماله، وقد يصل إلى ما وصلوا إليه، وكما أمر المسلم بالهجرة من بلاد الكفار صيانة لدینه وبعداً عن الفتنة، فإن المؤمن مطالب بالتحول عن جلسات السوء ورفقاء الفساد، حفاظاً على صلاحه وتقواه، وقد قال ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك وناfax الكبير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، وناfax الكبير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتة»<sup>(١)</sup>.

## ٦- صحبة ذوي الإرادات الضعيفة والهمم الذاتية:

هذا السبب من أكثر الأسباب تأثيراً، وهو يختلف عن السبب السابق، وذلك أن هؤلاء قد يكونون من أهل الخير والصلاح، ولكن هممهم ضعيفة وعزائمهم واهنة، وأهدافهم شخصية، فلا يحس المرء بأثرهم عليه، ويضعف شيئاً فشيئاً، حتى يتلاشى نشاطه أو يكاد، وتفتر همته، وتخور عزيمته، ولذلك قال الشاعر:

لَا تصحبِ الْكَسْلَانِ فِي حَالَاتِهِ  
كَمْ صَالِحٌ بِفَسَادِ آخَرِ يُفْسِدُ  
عَدُوِ الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةِ  
كَالْجَمَرِ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيُخْمَدُ

١ - أخرجه البخاري (١٦/٣) كتاب البيوع، باب [٣٨] ومسلم (٤/٢٠٢٦) كتاب البر والصلة، رقم (٢٦٢٨).





والإنسان سريع التأثر بمن حوله، وبخاصة إذا كان هو فرداً وهم عدُّ، أو كان ينظر إليهم نظرة إعجاب واحترام، ولذلك لا بد من حسن اختيار الصاحب والجليس، فإنه يؤثر على مر الزمن، كما يؤثر الحبل في الحجر، على ضعف الحبل وقوه الحجر، ولكن مرور الزمن كفيل بذلك، وبخاصة أن الحبل متحرك والحجر جامد، والمتحرك أقوى تأثيراً من الساكن والراكد.

ومن هنا وجهاً رسول الله ﷺ إلى هذا الأمر فقال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالف» <sup>(١)</sup>.

فمن أحوال بعض الناس: عدم الشعور بمسؤولية هذه الأمة، وعدم حمل همها، بل همه ذاته، ومسؤولياته حول شخصه، فلا يحس بالآلامها، ولا يسعى لتحقيق آمالها، جراحاتها لا تؤرقه، وشجونها لا تحزنه.

من يهن يسهل الهوان عليه    ما لجرح بميت إسلام  
فمن كانت هذه حاله، فأحسن الله العزاء فيه، ومخالطته تعدى  
كما يعدي الصحيح الأجرب، ولا عدو ولا طيرة.

#### ٧ - المعاصي والمنكرات وأكل الحرام:

الذنوب والمعاصي أثقال معنوية في الدنيا، تثقل قلب صاحبها

١ - أخرجه الترمذى (٥٠٩/٤) كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨) وأبو داود (٢٥٩/٤) كتاب الأدب، رقم (٤٨٣٣). قال الترمذى: حسن غريب، وحسنه الألبانى كما في صحيح الجامع، رقم (٣٥٤٥).





ونفسه، ثم هي يوم القيمة أثقال حسية، يقول سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالَهُمْ ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٣١)، وقال: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٣١).

يقول ابن القيم - رحمه الله - مبيناً أن المعاصي سبب للفتور: "ومن عقوباتها - أي المعاصي - أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه وتوقفه وتعطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواسط، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإذا زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه، والله المستعان" <sup>(١)</sup>.

فالمعاصي لا تؤدي إلى الفتور فحسب، بل تؤدي في غالب الأحيان إلى الانحراف، فإن المسلم قد يكون نشيطاً في عبادته أو دعوته أو طلبه للعلم، ولكنه يتواهله في بعض المعاصي، وبخاصة إذا كانت من الصغائر، أو لا يتورع عن أكل المتشابه، بل قد يأكل الحرام، وهنا ينحدر انحداراً، كصخر حطه السيل من على. ولذلك فإن على المسلم أن يكون حذراً متيقظاً، بعيداً عن المتشابه فضلاً عن الحرام، يحفظ جوفه، وسمعه، وبصره، ولسانه، وعقله، وفؤاده <sup>(٢)</sup>.

١ - انظر الجواب الكافي في ص ٤٨.

٢ - ومما يدل على ذلك قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحها) (سورة المؤمنون، الآية: ٤٥) فجمع بين أكل الطيبات والعمل الصالح مما يفيد أثر الأول في الثاني.





ومن البلاء الذي قل أن يسلم منه أحد، النظر إلى الحرام، وهو سهم من سهام إبليس، يورث في النفس حسراً وألمًا، ثم يسري إلى القلب قسوة ووحشة، والعلاج بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فِرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (سورة النور، الآية: ٣٠).

وبقوله: ﴿وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة الإسراء، الآية: ٣٦)، وبقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَذَّابٌ مُبِينٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٦٨).

ونجد العلاج الناجح والبلسم الشافي أيضاً في هذا الحديث:

روى النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قوله: «إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثيرون من الناس، فمن اتقى المشتبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه - وفي آخر الحديث - ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

والقاعدة المنجية في ذلك قول المصطفى ﷺ «دع ما يربيك إلى ما لا يربيك»<sup>(٢)</sup>.

١ - أخرجه البخاري (١٩/١) كتاب الإيمان، باب [٣٩]. ومسلم (١٢١٩/٣) كتاب المساقاة، رقم (١٥٩٩).

٢ - أخرجه الترمذى (٤/٥٧٧) كتاب القيامة، رقم (٢٥١٨) قال الترمذى: حسن صحيح.



## ٨- عدم وضوح الهدف:

كثير من الناس يطلب العلم، وأخرون يدعون إلى الله، وتلحظ منهم الجد والنشاط، وقد تحرق نفسك عند هؤلاء، وبعد فترة من الزمن تفاجأ بأن هؤلاء لم يعودوا كما كانوا، ولو دققت النظر لوجدت أن من أهم الأسباب التي أوصلتهم إلى هذه الحالة أنهما كانوا يعملون دون أهداف واضحة أو محددة، أي بلا مشروع محدد. ولكنهم رأوا الناس يعملون فعملوا، وقد تكون فترة طفرة أو حماس بعد سماع محاضرة، أو قراءة كتاب، أو تأثير صديق.

ويدخل في هذا الارتجالية والفوضى، فتجد الأعمال مع ضخامتها غير موجهة ولا مؤصلة، ناشئة عن تفكير آني، وردود أفعال، يبدأ في هذا العمل ولا يتمه، ويشرع في هذا الأمر ثم لا يستمر فيه، و«أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل»<sup>(١)</sup>. «وكان أحب العمل إليه ما داوم عليه صاحبه»<sup>(٢)</sup>.

إن وضوح الهدف وتحديده مطلب ملح، من أجل أن يسير العاملون بخطى وئيدة متزنة، أما أن تكون الأهداف ضبابية عائمة، والأعمال ارتجالية، فإن ذلك مدعوة لقعود الأفراد، وتسللهم واحداً تلو الآخر؛

---

١ - أخرجه البخاري (١٨٢/٧) كتاب الرقاق، باب [١٨]. ومسلم (٥٤١/١) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٢، ٢١٦، ٢١٨).

٢ - أخرجه البخاري (١٦/١) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٥، ٢٢١).



لأنهم لا يعلمون أين يسيرون، وفيهم يركضون، ولذلك سرعان ما ينقطعون.

### ٩- ضعف الإيمان بالهدف أو الوسيلة :

وهذا يختلف عما قبله، فإن الهدف هنا محدد واضح، والوسيلة كذلك، ولكنك تجد من لا يؤمن بهذا الهدف الذي تسعى إليه، أو لا يفتتن بالوسيلة المستخدمة، وفرق بين الأمرين.

وقد يسير الإنسان فترة من الزمن في هذا الطريق، مجاملة أو تجربة أو لسبب آخر، ثم يبدأ في الضعف والفتور، حتى يتخلّى مما كان عليه.

وأوضح هذا السبب بمثال:

فقد يتفق شخصان أو أكثر على تشخيص الواقع، ويرى الأكثرون أن العلاج يجب أن يكون علاجاً شمولياً، بالدعوة العامة، والتربية، وطلب العلم، وغيرها من وسائل العلاج المشروعة، دون أن يطغى جانب على آخر، ولكن يراعى في كل جانب ما يناسبه.

ويرى آخرون أن العلاج بطلب العلم فقط.

وقد يرى بعضهم أن العلاج يكون بالتربية الفردية فقط، أو بالدعوة العامة، فإن من سار معهم وهو ليس مقتضاً بما هم عليه سيضعف، ويتخلى عاجلاً أو آجلاً؛ لأنه غير مقتضى بالوسيلة المتبعة، ويرى أنها لن تتحقق الأهداف المتفق عليها.

والمشكلة أن مثل هؤلاء يصابون - غالباً - بفتور عام، فلا





يتحولون إلى الوسيلة التي اقتنعوا بها ، ومن ثم ينشطون في هذا الجانب ويبدعون فيه ، لو كان الأمر كذلك لمان الأمر ، وقد يكون في ذلك خير ، ولكنهم يتذدون ما لم يقتنعوا به مبرراً لترك ما اقتنعوا به ، والمهزوم لا يرده شيء.

إذا كان الأمر كذلك في عدم القناعة بالوسيلة ، فإن الأمر أشد فيما يتعلق بعدم القناعة بالأهداف ، فإن الذي لا يقطع بالأهداف لا يستطيع أن يسير طويلاً؛ لأنه يسير إلى غاية لم يؤمن بها ، وقد يكون قبل ذلك لم يكن يعرف هذه الأهداف ، فإذا استبان له سرعان ما يتخلى وينزوي ، ولو لم يصرح بذلك.

#### ١٠ - عدم الواقعية :

من خلال عنايتي بموضوع الفتور ، ومن ثم سبري لأحوال كثير من الفاترين ، وجدت أن ما يمكن أن أسميه بـ (عدم الواقعية) من أهم الأسباب التي أوصلت أولئك إلى الحالة التي آلوا إليها.

وعدم الواقعية قضية كلية ، تتفرع عنها عدة صور وحالات ، حيث لا يمكن حصرها في حالة أو حالتين.

وأقصد بعدم الواقعية عدم التاسب بين الإمكانيات الذاتية ، وبين مقدار العطاء من عبادة وعلم ودعوة.

وقد يكون عدم الواقعية ناشئاً من الفرد ، وقد يكون من المجموعة ، أو المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

ومثلاً أن عدم الواقعية يكون في الوسائل – غالباً – فإنه قد





يكون في الأهداف.

وكما أن عدم الواقعية يكون في الزيادة في العمل فوق طاقة المسلم، فقد يكون في النقص، بحيث لا يتاسب العطاء مع الإمكانيات.

ولنأخذ بعض الأمثلة والصور التي تزيد هذه القضية وضوحاً :

أ- الغلو والتشدد صورة من صور عدم الواقعية، ولذلك جاءت الآيات والأحاديث زاجرة وناهية عنه:

قال تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، (سورة النساء، الآية: ١٧١) وقال سبحانه: ﴿وَرَهَبَانِيَةٌ أَبْتَدَعُوهَا مَا كَبَّنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُ رِضْوَانُ اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (سورة الحديد، الآية: ٢٧)، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٦)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحج، الآية: ٧٨)، وقال ﴿إِيَّاكُمْ وَالغُلُوُّ فِي الدِّينِ إِنَّمَا أَهْلُكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup>. وقال ﴿هَلَكَ الْمُتَطَعِّنُونَ ثَلَاثًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»<sup>(٣)</sup>.

١ - أخرجه النسائي (٢٦٨/٥) كتاب مناسك، الحج رقم (٣٠٥٧) وابن ماجة (١٠٠٨/٢) كتاب المناسك، رقم (٣٠٢٩). وأحمد (٣٠٢٩)، ٢١٥/١، ٣٤٧، وصححه الحاكم (٤٦٦/١)، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣).

٢ - أخرجه مسلم (٢٠٥٥/٤) كتاب العلم، رقم (٢٦٧٠).

٣ - أخرجه البخاري (١٥/١) كتاب الإيمان، باب [٢٩].



«وَعِنْدَمَا دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ سَأَلَتْهَا

فَقَالَتْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَذِهِ فَلَانَةٌ، تَذَكَّرُ مِنْ صَلَاتِهِ  
وَعَبَادَتِهِ، فَقَالَ ﷺ «مَهُ، عَلَيْكُمْ بِمَا تَطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمْلِلُ اللَّهُ حَتَّى  
تَمْلُوا» " وَكَانَ أَحَبُ الدِّينِ مَا دَأَوْمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ " <sup>(١)</sup>.

«وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَوَجَدْ حَبْلًا بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا:  
إِنَّهُ حَبْلُ لَزِينَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعْلَقَتْ بِهِ، فَقَالَ ﷺ «لَا، حَلُوهُ، لِيَصْلِ  
أَحَدَكُمْ نَشَاطِهِ، فَإِذَا فَتَرَ فَلِيَرْقَدْ » <sup>(٢)</sup>.

بـ - ومن صور عدم الواقعية: أن يكون الشاب نشيطاً متھمساً،  
في الدعوة إلى الله، أو في طلب العلم، يواصل الليل بالنهار، والصيف  
بالشتاء، ولكنه متساھل، بل مھمل لحق أهله، غير عابئ بشئون  
نفسه، مقصراً مع أقاربه وذوي رحمه، وبعد سنوات يكتشف الخلل،  
فيبدأ تأنيب الضمير يعاتبه على تقصيره، ثم يسيطر هذا الأمر على  
تفكيره، بل قد يدخل الشيطان - وهو متحفظ للدخول دائمًا - ويقول  
له: انظر إخوانك وزملائك قد تزوجوا وبنوا البيوت، وامتلكوا من  
الدنيا ما لم تملك بسبب حالتك الأولى، وهنا تبدأ الوساوس والمواجس،  
والمشاريع الوهمية، ويدب الخلل إلى أوصاله، والفتور إلى أعماله،  
ورويداً رويداً حتى لم يعد في العير ولا في النغير.

١ - أخرجه البخاري (١٦/١) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٥) [٢١٨].

٢ - أخرجه البخاري (٤٨/٢) كتاب التهجد، باب [١٨] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين رقم (٧٨٤).



وهكذا تكون النتائج إذا كانت البدايات، فما كان خاطئاً أورث باطلاً، وقليل هم أولئك الذين يصححون أوضاعهم وفق المنهج الشرعي، وإنما هي أفعال تتلوها ردود أفعال، هكذا الحال غالباً.

ج- ومن الصور غير الواقعية: أن يحدد الفرد أو المجموعة أهدافاً غير واقعية، مع أن هذه الأهداف في ذاتها قد تكون مشروعة، ولكن بالنظر لظروف الزمان أو المكان فإنها غير عملية، وليس هذا أوانها أو مكانها، ويصدق عليهم قول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط عندنا      لنا الصدور دون العالمين أو القبر  
ويستمر العمل وتبذل الجهد - دون اكتشاف للخطأ - وتمر الأيام والسنون دون تحقيق شيء ذي بال من هذه الأهداف، فيدب السأم والملل، وتتبخر الأحلام، ويصدق الواقع مثالياً هذه الأهداف، فيبدأ الأفراد يتساقطون واحداً تلو الآخر، ومعهم لا يملكون الجرأة في استدراك ما يمكن استدراكه، والمحافظة على البقية الباقية من الجهد والزمن والأفراد، بل قد يكون أولئك من زمرة القاعددين بل الهاربين.

د- ومن الصور التي تخالف الواقعية: أن يتحمس الشاب لطلب العلم، وينظر فإذا هو قد فاته شيء الكثير، فيبدأ في طلب العلم جاداً نشيطاً، ولكنه بدل أن يبدأ الطريق من أوله، ويعلو السلم من أسفله، إذا هو يبدأ بالأمهات، ويقرأ المطولات، دون أن يكون ملماً بالأصول والقواعد وال اختصارات، بل قد لا يعرف بعض الأبجديات والبدهيات،





وتمضي الأيام فإذا هو قد بنى على غير أساس، وشيد بلا قواعد، فيدرك الخطأ بعد حين، ويرى أن ما بناه كان على شفا جرفٍ هارٍ، فيتأثر ويتحسر، وقد مضى من العمر ما مضى، فيدركه الضجر، ومن ثم الانقطاع ثم يندثر.

وقد فسر العلماء "الربانيون" في قوله تعالى: ﴿وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْجَارُ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٤)، بأنهم الذين يربون الناس بصفار العلم قبل كباره.

هـ - ومن صور عدم الواقعية التي تؤدي إلى الفتور كثيراً: عدم العناية بمتطلبات الجسم من الأكل والشرب والنوم، وكذلك تعاهد الجسم من الناحية الصحية، والناس في هذا بين إفراط وتفريط، وكلاهما يؤديان إلى الفتور والضعف. إن العناية بماء الإنسان ومشربه وصحته ونومه وما يتعلق بحق بدنـه مما أوصى به الرسول ﷺ كما في حديث سلمان: «ولبدنك عليك حقاً»<sup>(١)</sup>. وإهمال ذلك أو المبالغة فيه يؤدي إلى نتائج سالبة عاجلاً أو آجلاً.

ولنأخذ مثلاً واحداً من حقوق البدن، وهو (النوم) ولندع ابن القيم يتحدث، حيث يقول<sup>(٢)</sup> رحمـه الله: "المفسد الخامس - يعني من مفسدات القلب - كثرة النوم، فإنه يميت القلب، ويقتل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكرره جداً، ومنه الضار

١ - أخرجه البخاري (٢٤٣/٢) كتاب الصوم، باب [٥١].

٢ - انظر: مدارج السالكين ١/٤٥٩.





غير النافع للبدن". ثم ذكر أنواعاً من النوم الضار والمكرور، ومما قال: "ومن المكرور عندهم النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة". ثم قال:

"وبالجملة فأعدل النوم وأنفعه نوم نصف الليل الأولى وسدسه الأخير، وهو مقدر ثمان ساعات، وهذا أعدل النوم عند الأطباء، وما زاد عليه أو نقص منه أثر عندهم في الطبيعة انحرافاً بحسبه".

ثم قال: «وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات، فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرى عظام، من سوء المزاج وبيسيه، وانحراف النفس، وجفاف الرطوبة المعينة على الفهم والعمل، ويورث أمراضًا مختلفة، لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها، وما قام الوجود إلا بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجتمع الخير، والله المستعان".

وخلاصة الأمر أن الصور كثيرة، والمشكلة كبيرة، ولذلك فإن العلاج قد جاء في الكتاب والسنة في غير موضع<sup>(1)</sup>، والوسطية هي العلاج الحاسم والدواء الناجع، والتوازن مع قضايا هذا الدين مطلب ملح، ومراعاة ظروف الزمان والمكان منهج شرعي، والإفراط والتقريط بلا وشطط، والغلو والجفاء مهلكة محققة.

وأنبه إلى خطورة السلبية باسم الواقعية، وهذا هو الداء الذي نخشاه، فتجده يردد دائمًا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، (سورة

١ - انظر رسالة المؤلف (الوسطية في ضوء القرآن).





البقرة، الآية: ٢٨٦). و ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. يضع هذه الآيات في غير موضعها، جهلاً أو تجاهلاً أو تخلصاً، ولو صدق مع الله لفقه معنى الجهاد والمجاهدة، والصبر والمصابرة، وكل ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

## ١١ - العقبات والمعوقات:

طريق الدعوة إلى الله طريق مليء بالعقبات والأشواك، وليس طريقاً مفروشاً بالورود والرياحين، ولقد ركز القرآن الكريم على هذه القضية كثيراً تبصيراً للسائلين، وتبنيتاً للعاملين، قال سبحانه: ﴿الَّهُ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوَا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) سورة العنكبوت، الآياتان: ١، ٢). وقال جل وعلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤) (سورة آل عمران، الآية: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ أَلَّذِينَ جَاهَكُدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٣). (سورة آل عمران، الآية: ١٤٣).

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، والأحاديث تؤكد هذه الحقيقة وتجليها، منها حديث خباب بن الأرت عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وهو متوكلاً بربدة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعونا؟ فقال: «قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض،





فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظِيمُهُ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتَمَّنَ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَى اللَّهِ، وَالذِّبَابُ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ<sup>(١)</sup>.

وكذلك عندما مرّ الرسول ﷺ بآل ياسر وهم يعذبون قال لهم:

«صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»<sup>(٢)</sup>.

هذه هي طبيعة هذا الطريق، بل هذه علاماته، ولذلك قال أحد الدعاة عندما سئل عما لاقاه في سبيل دعوته – وقد عذب وسجن عدة سنوات – قال: "لولا هذه العقبات والمعوقات لشكنا في طريقنا" وقال أحد السلف: "لولا العقبات والابتلاء لاستوحشنا في الطرقات".

ومن هنا فإن بعض الناس يبدأ دعوته، ثم ينشط في ذلك، ولكنه لم يكن يتصور حقيقة الابتلاء والفتنة، وإن كان يعلم هذا من الناحية النظرية، بل قد يلقي دروساً في ذلك، وعندما يقطع مرحلة في مسيرته المباركة تبدأ بنيات الطريق، ثم تتبعها أمور لم يكن قد هيأ نفسه لها، ثم يبدأ في التفكير والتوقعات، وقد يرى بعض الدعاة يفتون، ومن ثم

١ - أخرجه البخاري (٤/١٧٩) كتاب المناقب، باب [٢٥].

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٣٨٨، ٣٨٩). وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٩٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات. وفي لفظ: «أبشروا آل ياسر، موعدكم الجنة». قال الهيثمي في المجمع (٩/٢٩٦): رواه الطبراني في الأوسط رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة.





يأتيه الشيطان فيوسوس له، وتبدأ هذه القضايا تعمل في تفكيره، وتأثر على عمله، وسرعان ما يتحول من ذلك الرجل الذي عرفناه بالنشاط والدأب والحركة إلى رجل يتسلى بماضيه عن حاضره، ويصبح جزءاً من التاريخ بعد أن كان تاريخاً، بل بعد أن كان يكتب التاريخ، ويجيد صناعة الحياة.

إن الفقه في سنن الله، ومعرفة سنة الابتلاء والامتحان، وكثرة مدارسة القرآن ودراسة السنة، ومعايشة سير الأنبياء والمرسلين، والدعاة والمصلحين، سبيل للنجاة من داء الفتور بسبب ما يلقاء الداعية في طريقه إلى الله، وتأمل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْنَوْا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاهِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) (سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠).

## ١٢ - الفردية

دين الإسلام دين جماعي، لا مكان لفردية فيه<sup>(١)</sup>، ومظاهر الجماعية فيه لا تعد ولا تحصى، فالصلوة جماعية، والزكاة تعبير عن تضامن جماعي بين الأغنياء والفقرا، والصيام، والحج «صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون» الحديث<sup>(٢)</sup>.  
بل يصل الأمر إلى الأمور المألوفة عند الناس كالنسل، فهو نتاج

١ - هناك بعض العبادات كقيام الليل والتواfwل ونحوها قد تكون فردية، ولكن المراد أن الأعمال الجماعية أكثر وأعم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾ المائدة: ٢.

٢ - أخرجه الترمذى (٨٠/٣) كتاب الصيام، رقم (٦٩٧). قال الترمذى: حسن غريب، وحسن البانى كما في الإرواء رقم (٩٠٥).





تزوج بين رجل وامرأة، مع أن الله قادر على أن يخرج النسل من أحدهما دون الآخر، كما خلق حواء من آدم، وأخرج عيسى من مريم، بل من دونهما كما خلق آدم من تراب، بل إن أمور العادات حتى الرسول ﷺ على أدائها جماعية، **كالأكل**، قال ﷺ: «اجتمعوا على طعامكم ييارك لكم فيه»<sup>(١)</sup> والسفر حيث قال ﷺ: «والثلاثة ركب»،<sup>(٢)</sup> والنوم فقد نهى ﷺ عن الوحدة، أن يبيت وحده، أو يسافر وحده<sup>(٣)</sup>. فإذا كان هذا أثر الاجتماع في أمور حياتنا ودنيانا، فكيف يكون أثره في حماية ديننا؟

ولقد جاءت الآيات والأحاديث تطرق هذا الباب وتؤصله:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، (سورة آل عمران، الآية: ١٠٣). **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالثَّقَوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلَاثِ وَالْعُدُونَ**<sup>ط</sup> (سورة المائدة، الآية: ٢).

ونهى عن الفرق والتفرق والاختلاف:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، (سورة

١ - أخرجه أبو داود (٣٤٦/٢) كتاب الأطعمة، رقم (٣٧٦٤)، وابن ماجه (١٠٩٣/٢) كتاب الأطعمة، رقم (٣٢٨٦)، وأحمد في المسند (٥٠١/٢)، والحاكم في المستدرك (١٠٢/٢) قال الحافظ العراقي في تحرير الإحياء (٥/٢): إسناده حسن.

٢ - أخرجه أبو داود (٣٦/٣) كتاب الجهاد، رقم (٢٦٠٧) وأحمد في المسند (١٨٦/٢). وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم (٣٥٢٤).

٣ - أخرجه أحمد في المسند (٩١/٢) قال البيشمي في المجمع (١٠٧/٨): رجاله رجال الصحيح.





آل عمران، الآية: ١٠٥). ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾  
 إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ (سورة الأنعام، الآية: ١٥٩)، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> (سورة الروم، الآية: ٣١، ٣٢).

والآحاديث كثيرة منها:

«عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»<sup>(١)</sup>.

وقال: «وامركم بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، فإن من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا كانت ميته جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كدر الجماعة خير من صفو الفرد.

وقال المبارك ابن المبارك:

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل ولكان أضعفنا نهباً لأنقوانا

وبهذا يتضح لنا أن الجماعة هي الأصل، والمراد بذلك لزوم جماعة المسلمين، جماعة أهل السنة والجماعة، وهي الطائفة المنصورة،

١ - أخرجه الترمذى (٤٤٠) / (٤) كتاب الفتنة، رقم (٢١٦٥) وأحمد في المسند (١٨/١) والحاكم في المستدرك (١١٤/١) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذى: حسن صحيح غريب، وصححه الألبانى في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم، رقم (٨٨).

٢ - أخرجه أحمد في المسند (٣٤٤/٥) قال الهيثمي في المجمع (٥/٢٢٠): رواه أحمد ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن إسحاق السلمي وهو ثقة، وأخرجه أحمد أيضاً، انظر المسند (٤/٢٠٢، ٤/١٣٠).





والفرقة الناجية<sup>(١)</sup>. وهي من كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

ومن هنا فإن من شد عن هذا الأصل العظيم، وآثار الفردية، أو حياة العزلة والتفرد مما لم يرد في أحاديث العزلة الشرعية، فإنه منقطع أثناء الطريق، وستخور قواه وتضعف عزيمته، ويدركه الملل والأسأم، وستكون حاله كالمنبت الذي لا أرضاً قطع، ولا ظهرًا أبقى، وصدق المصطفى ﷺ «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»<sup>(٢)</sup>.

### ١٣ - الجمود في أساليب العمل ومراحل الدعوة

المتبعة لسيرة الرسول ﷺ ومراحل دعوته يجد فيها التجديد، والانتقال من مرحلة إلى أخرى، مراعاة للزمان والمكان والأفراد.

ومما يلاحظ على بعض الأفراد والجماعات الجمود على بعض الأساليب الاجتهادية، مع تغير الأحوال وتبدل الأزمان، وكذلك التقوّق على مرحلة دون التحول والانتقال عنها إلى غيرها، مع أن طبيعة المرحلة وظروف العمل تقتضي النقلة إلى مرحلة أخرى، وهذا مما يصيب الدعوة بالرتابة والملل، ومن ثم يبدأ التفلت والكسل.

ولذلك فإن على الدعاة أن يولوا هذا الجانب أهمية قصوى، وأن

١ - من الأخطاء المعاصرة أن بعض الجماعات عدّت نفسها هي جماعة المسلمين، واستندت بهذه الآيات والأحاديث على نفسها فحجرت واسعًا، وضيقـت رحباً، وارتكتبت صعباً وإثماً.

٢ - أخرجه أبو داود (١٥٠/١) كتاب الصلاة، رقم (٥٠٤٧) والنسيائي (١٠٧/٢) كتاب الإمامة، رقم (٨٤٧). وأحمد في المسند (٥/١٩٦) (٦/٤٤٦) قال الألباني في تعليقه على المشكاة رقم (١٠٦٧): إسناده حسن، وأشار إلى أن النبوة قد صحّه.





يدرسوا منهج القرآن والسنّة في ذلك، ويروا الفرق بين العهد المكي والعهد المدني، بل يروا التجديد في العهد المكي نفسه، وقل مثل ذلك في العهد المدني، فتجد التجديد في المراحل، والتنوع في الأساليب، وتلحظ البعد عن الرتابة والجمود.

إن النفس البشرية كالماء إذا وقف أسن، وكالشجرة إذا لم يجدد لها الهواء ذبلت.

والداعية نفسه يحتاج إلى التجديد والابتكار، مع المحافظة على الأصل والمنهج، ولنأخذ هذا المثال: لو أن رجلاً سافر من بلده لأداء العمرة والمسافة طويلة، فلما عاد إلى بلده طلبت المجموعة نفسها العودة مرة أخرى لأداء العمرة ثانية، هل سيكون هذا الرجل بالنشاط والحماسة نفسها كلمرة الأولى؟

الجواب طبعاً: لا، ولكن لو وجد مجموعة أخرى وغيرت الوسيلة، فبدل السفر في السيارة يكون السفر بالطائرة أو العكس، سيجد نشاطاً وحماساً قد يفوق الرحلة الأولى، وبخاصة إذا كان هؤلاء أفضل من أولئك.

وأيضاً، مما تجب مراعاته أن الإنسان في مراحل عمره يناسبه في كل مرحلة ما لا يناسبه في المرحلة الأخرى، وذلك تبعاً لتغير السن والظروف الاجتماعية، والمستوى العلمي وغيرها، ولهذا فإنه يجب أن يمارس من الأعمال ما يناسب واقعه وظروفه وسنّه، ويحسن له أن يبادر بالتحول من عمل إلى آخر قبل أن يملّ ويفتر، لأن الانتظار حتى يتعب ويكل، ثم ينتقل إلى مجال آخر، سيترك أثره على عمله الجديد.





إن مجالات الدعوة ليست محصورة في جانب واحد، وأصحاب الهمم الضعيفة هم أولئك الذين يحجزون واسعاً، ويجدون كالماء في برد الشتاء. ومن المعلوم أن من سمات هذه الأمة (التجديد) وهم أولئك الذين يبعثهم الله على رأس كل قرن يجددون لهذه الأمة أمراً دينها على منهاج النبوة، وفرق كبير بين التجديد والتجميد، فتأمل.

وهنا قضية لا بد من الإشارة إليها، وهي أنه مع أهمية التجديد والتلويع في الأساليب، يجب أن يكون هذا في حدود مقتضيات طبيعة الدعوة وال الحاجة التي تدعو إلى ذلك، أما إذا أصبح التجديد مراداً ذاته، والتغيير والتبديل سمة من سمات العمل، فقدت الدعوة استقرارها، ففي كل فترة خطة، ينتقلون عن هذه، ثم يعودون إلى تلك، وكان الدعوة ميدان للتجارب ومركزًا للأبحاث، في هذه الحالة ستكون النتائج سالبة، وسيكون التفلت وعدم الثقة والفتور أشد وأنكى.

والمنهج الصحيح هو التوسط، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فلا إفراط ولا تفريط، وما يعقلها إلا العالمون.

وقل مثل ذلك في حالة الفرد الذي لا يستقر على منهج، ولا يثبت على عمل مع الزمن، كثير التجوال والترحال حساً ومعنى، وهذا هو المنبتُ الذي لا أرضاً قطع ولا ظهرأ أبقى.

#### ١٤ - الانحراف عن مسار الهدف الصحيح:

قد تنشأ جماعة إسلامية في بلد من البلدان، وتكون نشأتها على





هدي النبوة ومنهج السلف الصالح، وتطلق قوية نشيطة مؤثرة في المجتمع، ومن ثم تستقطبآلاف الناس، وبخاصة الشباب منهم، وتبدأ في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، وتواجهه ظروفاً جديدة في الحياة تتطلب قدرًا من الشجاعة في اتخاذ القرار الصحيح، المستمد من الكتاب والسنة، وقد تزاحمها جماعات أخرى، مما يدخلها في مرحلة من الابتلاء والامتحان.

وبعًا لهذه الظروف والأوضاع قد تجد هذه الجماعة نفسها عاجزة عن المضي في طريقها الذي رسمته، وعلى أصولها التي قامت عليها، فيبدأ الخلل، ويتوسّع في قاعدة المصلحة المرسلة أو (مصلحة الدعوة)، وتأخذ الاجتهدات (غير المؤصلة) طريقها إلى التفزيذ، وتسسلم للضغوط الداخلية والخارجية.

ومن هنا يتلفت الأتباع، وبخاصة المخلصون منهم والبعيدين عن التعصب والحزبية، فلا يجدون الأمر كما عهدوا، ولا الشأن كما عرروا، وقد تكون الصورة غير واضحة بالنسبة لهم، فيحدث في نفوسهم نوع من القلق والتوتر، وتحسر على ما مضى من عمر هذه نهايتها.

وتعمل هذه الأفكار والهواجس عملها في النفوس، فيؤثرون حياة العزلة والانطواء، ويستسلمون للدعة والراحة، حيث إنهم لا يملكون الشجاعة على استئناف حياة جديدة، تحافظ على العهد وتبقى على الأصل، فإن الدعوة ليست ملكاً لزيد أو عمرو، وإنما هذا دين الله، لا





توقفه أهواء البشر، ولا قعود القاعدين ﴿وَإِن تَتوَلُوا يَسْتَبِدُّ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (سورة محمد، الآية: ٣٨).

### ١٥ - عدم استشعار التحدي:

من الأسباب المؤثرة في حياة الدعاة وطلاب العلم: عدم إدراكهم لواقعهم، ومن ثم عدم إدراكهم للتحدي الكبير الذي تواجهه هذه الأمة، من أعدائها من خارجها ومن داخلها.

وحقيقة التحدي عبر عنها القرآن في أكثر من موضع، قال تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مِلَّهُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٢٠). ﴿وَدُولَوْ تَكَفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ (سورة النساء، الآية: ٨٩)، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (سورة النساء، الآية: ٨٩)، وقال: ﴿هُمُ الْعَدُوُ فَاحذَرُهُمْ﴾ (سورة المنافقون، الآية: ٤)، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَقْفُلُونَ عَنْ أَسْلَحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمْلُؤنَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (سورة النساء، الآية: ١٠٢).

إن شعور المسلم بالتحدي من قبل أعدائه يجعله متيقظاً، جاداً في مواجهة هذا التحدي، وغفلته عنه تؤدي به إلى حياة الدعة والراحة والسكون، بل إلى حياة التهلكة كما عبر القرآن: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْهَنْكَةِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٩٥).

وانظر إلى ما قاله أبو أيوب الأنباري رض حولها تعرف الحقيقة،



قال: إنما نزلت هذه الآية فينا عشر الأنصار، إنما لما أعز الله دينه وكثراً ناصروه، قلنا فيما بيننا بعضنا لبعض سراً من رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما هممنا به ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْنَّهْلَكَةِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٩٥)، بالإقامة التي أردننا أن نقيم في الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله. (الطبرى ٢٠٤/٢).

إن أي دولة تحس بالخطر على حدودها تستفرجيشاً وشعبها لمواجهة الخطر الجديد، بل إن الحيوانات إذا أحست بالخطر استفرجت قواها، وتحفزت للدفاع عن نفسها، فإذا زال الخطر عادت إلى حالتها الأولى، ومن الأمثلال العربية المعروفة: "لو ترك القطا ليلاً نام" فإحساس القطا بالخطر أذهب عنه النوم.

وهكذا المسلم، فإن شعوره بالتحدي يجعله بعيداً عن حياة الكسل والخمول والخور، وقد انه لهذا الشعور يؤدي به إلى التناقل والفتور، أرأيت لو أحس أحدنا باللصوص حول بيته هل ينام ساعة من الليل، أم يظل متيقظاً مستعداً متحفزاً؟ فكيف إذا كان اللصوص لصوص دين لا دنيا؟!

ولكن:

من يهن يسهل الهوان عليه      ما لجرح بميّت إيلام



## ١٦ - ضعف التربية :

يحتاج المسلم إلى تربية طويلة، مؤصلة، شاملة، وبخاصة في الجانب العبادي والعلمي.

ولقد ربى رسول الله ﷺ صحابته خير تربية عرفتها البشرية، ولم يكن هذا بالأمر السهل والهين، بل مكث سنوات طويلة في مكة، وبعد ذلك في المدينة، يتعاهد صحابته، ويربيهم على عينيه ﷺ.

وتطلب هذا الأمر جهوداً مضاعفة وسنوات متواالية، حتى تخرج على يديه الكريمتين تلك الصفوـة المباركة، التي ما عرف التاريخ ولن يعرف مثلها، سجلوا أمجادهم بمداد من نور، واجهوا المشكلات والعقبات، فما وهـنوا لما أصابـهم في سبيل الله، وما ذلـوا، وما استـكـانـوا، وما ضعـفـوا.

وشباب الأمة اليوم بأمس الحاجة إلى التربية الشاملة المتوازنة، المستمدـة من الكتاب والسنة، وعلى هـدى سـلفـ الأمة.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارـها، أن هناك ضعـفاً ظـاهـراً في تربية رجال الأمة وشبابـها، بل ونسائـها، وأصبح الالتزام مـظـهـراً عامـاً في داخلـه دـخـنـاً عند كـثـيرـ من الملـزمـينـ، قد لا يـثـبـتـ عند مـواجهـةـ الشـدائـدـ والمـحنـ.

فالصلة بالله ضـعـيفـةـ، والعلم قـلـيلـ، والتجـربـةـ مـحـدـودـةـ، بينما المشـاعـرـ فيـاضـةـ، والـحـمـاسـةـ طـاغـيـةـ، وقد يـسـرـ النـاظـرـينـ، كالـسـرـابـ "يـحـسـبـهـ الـظـمـآنـ مـاءـ حـتـىـ إـذـاـ جـاءـهـ لـمـ يـجـدـ شـيـئـاًـ" إـلاـ مـنـ عـصـمـ اللهـ وـوـفـقـ وـثـبـتـ.





وقد كثرت الشكوى هذه الأيام من أولئك الذين ضعفوا بعد استقامه، وأصبحت تكون ظاهرة تحتاج إلى علاج، ووجدت أن من أبرز أسبابها ضعف التربية، مع كثرة الشهوات والشهوات، فعلى العلماء وطلاب العلم والمربين المبادرة قبل فوات الأوان، وتمني أن الذي كان ما كان.

ومما تجب الإشارة إليه في باب ضعف التربية ما يلي:

- أ- ضعف البدائيات، وعدم بناء الشخصية المسلمة على أساس قوية مؤصلة، مما يجعلها هزيلة غير متمكنة، تميل إلى ما قامت عليه وتحن إليه، مما يجعل صاحبها يعاني أيما معاناة.
- ب- عدم التدريب على المبادرة، بل أحياناً تربية الفرد على السلبية وانتظار التكاليف، فهو إمعة ومقلد.
- ج- ضعف الثقة بالنفس، والخوف من الإحباط والفشل، والتهيّب من كل جديد.
- د- الغفلة عن مبدأ الثواب والعقاب، أو إساءة استخدامه.
- هـ- التعنيف في المحاسبة، وتضخيم الأخطاء، وكثرة العتاب، وعدم مراعاة الفروق الفردية، والظروف الاجتماعية، مما يسبب للشاب نفوراً ووحشة وإحباطاً.
- وـ- إبراز الشخص وتحميله مسؤوليات كبيرة قبل نضجه وإعداده وتربيته، وهذا بلاع عواقبه وخيمة في العاجل أو الآجل.





## ١٧ - عدم التجانس بين الموهبة والعمل:

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الدعاة أن يقوم بمزاولة عمل لا يناسبه، ويختلف مع طبيعته ومواهبه، كأن يزاول الكتابة وهو لا يجيدها، أو الخطابة وهو ليس من أهلها، وهلم جرا.

ويستمر الصراع في داخله بين قدراته وإمكاناته، وبين ما كلف نفسه به، وتزداد معاناته شيئاً فشيئاً، وسيما عندما يهم القيام بهذا الأمر، حتى يصبح هذا العمل عبئاً ثقيلاً على نفسه، يفرح بالأسباب الظاهرة التي يتخلص فيها من أداء هذه المهمة - مؤقتاً - كتوقف الدروس والمحاضرات بسبب الإجازة أو الامتحان، ونحو ذلك.

وفي النهاية تتصر النفس، وتظهر على حقيقتها، ويتغلب الأصل على الفرع، ومن ثم يمل ويفتر، ويضعف ويتوقف.

وقد كان في سعة من أمره، و مجالات الدعوة ليست محصورة في مجال أو مجالين، فإذا اكتشف أن مواهبه لا تساعده للقيام في هذه المهمة انتقل إلى مهمة أخرى، دون أن يضيع الجهد وال عمر، بل والنية أحياناً، والشاعر يقول:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه      وجاؤه إلى ما تستطيع

وفرق بين أن يزاول المرء عملاً مؤقتاً ولو لم يجد نفسه فيه، حيث كل حالة ما يناسبها، وبين أن يستمر في هذا العمل ويعرف من خلاله، وهو لا ناقة له فيه ولا جمل، وإنما كلف نفسه شططاً، وأمر الله واسع ﴿ لَمْ يُكِلْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٦)، ويقول



المصطفى صلى **خ** : «عليكم بما تطيقون» <sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق فإن على العلماء والمربين أن يكتشفوا مواهب طلابهم – مبكراً – حتى يريوهם على القيام بما يحسنون، وما ترتاح له نفوسهم، ويجدون القدرة على الإبداع والتفوق فيه، وبخاصة أن بعض الطلاب قد يجامل شيخه، ولا يصرح له بثقل هذا الأمر عليه، وعدم ارتياحه له، لضعف مواهبه فيه.

وهنا أنبه إلى أمرين:

- أ- أن بعض الأعمال يمكن التعويض عن نقص الموهبة بالتدريب والتعليم والمران، حتى تصبح أمراً عادياً، ويلجأ إلى هذا الأمر، مع ما يتطلبه من جهد ووقت في حالة عدم وجود من يقوم بهذا الأمر رغبة وموهبة، مع الحاجة الماسة إليه.
- ب- كل ما سبق في الأمور الاختيارية من فروض الكفاية والمستحبات، أما الواجب العيني فلا خيار، ما لم يكن هناك عذر شرعي معتر.

#### ١٨- اختلاف البيئة :

بعض الدعاة وهم الله قدرة فائقة للقيام بالدعوة في مختلف البيئات والمجتمعات، يتكيرون حسب الحال والزمان، علمهم واسع، ونفسياتهم رحبة، وقدراتهم متعددة، هؤلاء غير معنيين بحديثنا، وذلك

---

١ - أخرجه البخاري (١٦/١) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (٥٤٢/١) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٥ ، ٢١٨).



فضل الله يؤتى من يشاء.

وإنما هناك آخرون ينشطون في مكان دون آخر، ويبدعون في بيئه دون سواها، ويتفوقون في مجتمع معين، فإذا تحولوا عنه تغيروا. وبعض الطلاب إذا كان مع مجموعة من زملائه يرتاح لهم ويرتاحون له تجد فيه الحيوية والنشاط، فإذا انتقل أو نقل إلى آخرين سرعان ما تخبو مواهبه، وتضعف عزيمته، وتلتحقه السآمة والملل، ولو أعدته إلى بيئته الأولى لعاد كما عهدهناه يتذبذب حيوية ونشاطاً، وهذا مصدق حديث المصطفى ﷺ: «الأرواح جنود مجنة ما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف» <sup>(١)</sup>.

ومما يلحق في هذا الباب: الانقطاع عن العمل مدة طويلة، مما يصعب عليه العودة إليه، وإذا عاد فإذا هو ليس كما كان، لا خلاف الأحوال والأزمان، مما يرهقه ومن ثم يفتره.

ولذلك يحسن التتبّيّه على أن من اضطر إلى التوقف عن العمل لسبب عارض، لا ينقطع عنه كليّة، بل عليه أن يجاهد نفسه، لتسهل عليه العودة، وحتى لا تكون بينه وبين العمل أو إخوانه وحشة.

## ١٩ - طول الأمد وقلة المعين والناصر

وقد ورد في هذا نص في كتاب الله، فتأمل معي هذه الآية في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

١ - أخرجه البخاري (٤ / ١٠٤) كتاب الأنبياء، باب [٢] ومسلم (٤ / ٢٠٣١) كتاب البر والصلة، رقم (٢٦٢٨).



وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطُ فُؤُودُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

فَسِئُونَ ﴿١٦﴾ (سورة الحديد، الآية: ١٦).

إذا أضيف إلى طول الأمل طول الإنسان، ازداد حجم المشكلة، وضعف إرادة المرء وقوته، وقد بين ﷺ أن الإنسان مجبول على طول الأمل، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين في حب المال وطول الأمل» <sup>(١)</sup>.

إن طول الطريق مع ما فيه من عقبات ومشاق يصيب الكثيرين بالضعف والوهن، فإذا أضيف إليه قلة المعين والناصر، وتخلي الأحباب والأصحاب، مما يجعل الإنسان يعيش في غربة مزدوجة، كل ذلك مدعوة للتراجع والفتور، والتماس الأعذار، والبحث عن مبررات القعود. وإن تذكر الآخرة، وزيارة القبور، وقوة الصلة بالله، وكثرة الطاعات، وتوقع زيارة ملك الموت بدون سابق موعد، والبحث عن الرفقة الصالحة التي تعينه على الطاعات، كل هذا ينجيه – بإذن الله – من هذا الداء، مع التخلص من الآمال العريضة الكاذبة، التي أودت بمن قبلنا: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَلِهِمْ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ (سورة الحجر، الآية: ٣)، وما أحسن قول الشاعر:

ترزود من التقوى فإنك لا تدرى      إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

١ - أخرجه البخاري (٧/١٧١) كتاب الرقاق، باب [٥] ومسلم (٢/٧٢٤) كتاب الزكاة، رقم (١٠٤٦، ١٠٤٧).



فَكُمْ مِنْ سَلِيمٍ ماتَ مِنْ غَيْرِ عَلَةٍ  
وَكُمْ مِنْ فَتَى يَمْسِي وَيَصْبِحُ آمِنًا  
إِنْ تَجْدِيدُ الإِيمَانِ وَتَعَاوِدُهُ، وَمَحَاسِبُ النَّفْسِ، وَالتَّأْمِلُ فِي سِيرِهِ  
خَلَالًا، مِنَ الْعِوَالِ الْمُسَاعِدَةِ فِي التَّفْلِبِ عَلَى طُولِ الْطَّرِيقِ وَمِنْعَطْفَاتِهِ.  
وَثُقْتَهُ بِاللَّهِ وَاعْتَمَدَهُ عَلَيْهِ يَغْنِيهُ عَنْ تَخْلِي رَفَاقِ الْطَّرِيقِ، وَقَدْ قَالَ  
الْمُصْطَفَى ﷺ عِنْدِ قَوْلِ لُوطٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِقَوْمِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ  
ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ <sup>(١)</sup>. قَالَ ﷺ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لِيَأْوِي  
إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْءَاوِي إِلَى رُكْنٍ  
شَدِيدٍ﴾ ، .. مَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ «وَالثَّرْوَةُ:  
الْكَثْرَةُ وَالْمَنْعَةُ» <sup>(٢)</sup>.

## ٢٠ - الأوهام:

مَا يُفْسِدُ الْعَمَلَ وَيُضْعِفُهُ، بَلْ وَيَقْضِي عَلَيْهِ: كَثْرَةُ الْأَوْهَامِ  
وَالْوَسَاوسِ.

وَالشَّيْطَانُ لَهُ قُصْبُ السَّبْقِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، بَلْ إِنْ هَذَا مَجَالُهُ،  
كَمَا قَالَ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسُوْسَةِ» <sup>(٣)</sup>.

فَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ مِنْ كَانَ نَشِيطًا وَمُؤْثِرًا، وَبَدَأَتِ الْأَوْهَامُ تُخْتَرِقُ

١ - سورة هود آية: ٨٠.

٢ - انظر تفسير الطبرى ١٣ / ٨٧: وانظر الدر المنشور (٣ / ٦٢١) فقد عزاه السيوطي لابن جرير. والحديث رواه الترمذى: ٥ / ٤٢٩٣، وأصله في البخارى: (٣١٩٥).

٣ - أخرجه أبو داود (٤ / ٣٢٩) كتاب الأدب رقم (٥١١٢) وأحمد في المسند (١ / ٣٤٠).



تفكيره، فمرة يتذكر أولاده، ومن لهم بعده؟ ومرة يتصور السجن وما يجري فيه، وثالثة حب الوظيفة وما قد يعتريها، وأخرى مراقبة البشر وملاحظتهم له، وتستمر الأوهام والتخيلات والوساوس، حتى لا يقف عند حد، بل قد يصل الأمر إلى عقيدته، فيخشى الناس والله أحق أن يخشاه.

ولنقف مع هذه الآيات متذمرين متفكرين: ﴿ وَيُخْوِفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٣٦)، ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخْوِفُ أُولَئِكَأَهُدَىٰ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ١٧٥ (سورة آل عمران، الآية: ١٧٥)، ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَنًا وَقَالُوا حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعَمْ أَلَا وَكَيْلٌ ﴾ ١٧٣ (سورة آل عمران، الآية: ١٧٣).. ﴿ فَلَا تَخَشُوا النَّاسَ وَأَخْشُونَ ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٤٤)، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْنَّاسِ ﴾ ٢١ إِلَهِ الْنَّاسِ ٢١ مِنْ شَرِّ الْوَسَّاِسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسِّعُ فِي صُدُورِ الْنَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالْكَاسِ ٦ (سورة الناس، الآيات: ١ - ٦).

وهذه السورة خير علاج لقطع الوساوس والأوهام، مع العمل الجاد المثمر، وعدم إطلاق العنان للأوهام والهواجس التي لا تستند إلى حقيقة، بل هي ضرب من الخيال، ومدعاة للإرجاف والخذلان، ورحم الله الصديق - رضي الله عنه - إذ قال: "اطلبوا الموت توهم لكم الحياة".



والمنهج الصحيح يبينه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْوَى إِذَا مَسَّهُمْ طَلْفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٢٠١). وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَنِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٦).

#### ٢١- ضعف القدوة:

وهذا سبب مهم وهو من أهم أسباب الفتور وداء من أعظم الأدواء ألا وهو (ضعف القدوة)، وذلك عندما يجد الشاب أن قدوته من شيخ ومربٍ ضعيف في عمله وعبادته، وكلامه أكثر من فعله، وغير متذر لقوله سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ٤٤.

فهنا يضعف المتربي نظراً لضعف المربi والقدوة، وسأقف مع هذا الأمر في باب (علاج الفتور) مبيناً أهمية القدوة الصالحة وأثرها، كما في القرآن والسنة.

#### ٢٢- أسباب أخرى:

وهنا جملة أخرى من الأسباب التي توصل إلى الفتور، وتؤدي إلى الكسل والترaxي، وهي تختلف في التأثير قوة وضعفاً، وسأذكرها مختصرة، ليكون طلاب العلم والدعاة على حذر من الوقوع فيها، والحر تكفيه الإشارة.

#### أ- أمراض القلوب، كالحسد وسوء الظن والغل، ومن أسوأها



أمراض القلوب: الحزبية، فهي مجمع الأمراض، ومواطن الأدواء، وصاحبها يحسب أنه يحسن صنعاً ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ (سورة فاطر، الآية: ٨).

إن القلب إذا أصيب بهذه الأمراض وأمثالها انشغل بالخلق عن الخالق، وزادت همومه، وخارت قواه، يحزن لفرح أخيه المسلم، ويسر لما يحزنه:

اصبر على مرض الحسود      فإن صبرك قاتله  
النار تأكل بعضها      إن لم تجد ما تأكله

ب- الشهوة الخفية<sup>(١)</sup> وهذه قل أن يسلم منها أحد، إلا من عصم الله ورحم، فيبدأ الداعية وطالب العلم بإخلاص وتجرد، ثم يزداد العلم، ويتجمع الناس، ويعطى فصاحة وقوة تأثير، فتبدأ المطامع تتحرك بين جنبيه، فيحب أن يجلس الناس إليه، وأن يقوموا أيضاً ويتطلع إلى الدنيا وزينتها، والرفة والمكانة، لا يرضى إلا أن يتصدر في المجالس، ويحزنه ألا ينادي بأحسن الألقاب - وإن لم يظهر ذلك - ولذلك فهي شهوة خفية، وقد تتأصل حتى تصبح معلنة، وروي عنه ﷺ عن الشهوة الخفية قال: «هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يجلس إليه»<sup>(٢)</sup> نعوذ بالله من الخذلان.

١ - مع أن هذا السبب يرجع إلى الإخلاص، ولكن لأهميته وعموم البلوى به أفردته.

٢ - أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١ / ٢٣٣) بسنده مرسل وفيه ابن لهيعة: سيء الحفظ.



ومن كانت هذه حاله فمآلها إلى التحول عما هو عليه، لأنه تعلق بالخلوقين دون الخالق، والله جل وعلا يقول: ﴿تِلَّكَ الْدَّارُ الْآخِرَةُ بِنَجَاعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (سورة القصص، الآية: ٨٣).

ج- التقصير في العبادة،<sup>(١)</sup> ولا سيما في عمل اليوم والليلة، فالأوراد لا يتعاهدها، والنوافل لا يشهدها، وتصل به الحال إلى عدم المواظبة على السنن الرواتب، بل قد يمر عليه عدة أيام لم يقرأ ورده من القرآن - إن كان له ورد: «والذى ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»،<sup>(٢)</sup> وقد كان لشيخ الإسلام جلسة بعد صلاة الفجر حتى الضحى يذكر الله فيها، يقول عنها: هذه غدوتي لو لم أفعلها لخارت قواي.

أولئك (أتلائي) فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا (نظير المجالس)

د- الحزبية والتعصب: وذلك أن بعض الأشخاص يتحزبون لبعض الجماعات، أو يتذمرون لبعض الأفراد من العلماء والدعاة، ويصل هذا الأمر إلى حد الغلو - المنهي عنه - وتمر الأيام والسنون وهذا المسكين على حاله غالباً متعصباً متحزباً، فيكتشف الخل، ويتبين له موطن

١ - هذا السبب من أعظم الأسباب أثراً، وكثير من الناس يعل ضعفه في العبادة، بانشغاله بالدعوة إلى الله، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعية الأول، وعبادته لربه وصلته به مما تتقاصر دونه الهم، فكن على حذر قبل استفحال الداء ومن ثم تعسر الدواء (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب). (سورة الشرح، الآيات: ٧، ٨).

٢ - أخرجه الترمذى (١٦٢/٥) كتاب فضائل القرآن رقم (٢٩١٣) وأحمد في المسند (٢٢٢/١). قال الترمذى: حسن صحيح.





الزلل، فإذا هو بسبب الحزبية قد وقع في مصائب كان يحسبها عبادة وقربة، وبسبب غلوه في هؤلاء الأشخاص وتعصبه لهم عادى أمماً، وحارب أخياراً، ونابز أصحاباً ورفاقاً، فتزداد آلامه وأحزانه على ما مضى من عمره، وما سلف من عمله، فتعمل هذه الآلام والأحزان عملها فيه، حتى ت xor قواه، ويدركه الوهن والضعف، ويستسلم للهموم واجترار الماضي، فيضيف إلى المصيبة بلية، وإلى المرض سقماً.

وكان الأخرى به أن يعوض ما فات بالتوبة والعمل، والجد والاجتهد، فإن التوبة تجب ما قبلها، «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخلق الناس بخلق حسن»<sup>(١)</sup>.

هـ - المجاملة وعدم المناصحة والمصارحة، وهذه قريبة من تلك، ولكنها قد لا تكون ناشئة من تعصب أو حزبية، وإنما من ضعف ومحاباة، فتكثّر الأخطاء، وتتسع الهوة. والمجاملة لها حدود، والسكوت عن مواطن الزلل له مدى، فتصل الأمور إلى نهايتها بعد حين، ويؤثر السلامة والعافية، وما سلم وما تعافى، وهو كمن هرب من القوم ووقع في السرية.

ويدخل في هذا الباب عدم الاستجابة للناصحين، وعدم سماع نداء المخلصين، فتكون العزلة هي الطريق، وما هي بطريق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

١ - أخرجه الترمذى (٣١٣/٢) كتاب البر والصلة، رقم (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. وأحمد في المسند (٥/١٥٣، ١٥٨).





و- عدم تحقق الأهداف،<sup>(١)</sup> وتأخر النصر، والشعور بعدم الإنتاج، وضعف الثمرة، كل هذه أمور تفت في عضد الرجال، ولا يتحملها إلا ألو العزم - وقليل ما هم - والإنسان ضعيف، فإذا رأى الأيام تمضي، والسنين تتتعاقب، والناس معرضين، والشرور تزداد، والثمرة محدودة؛ داخله اليأس والقنوط، وبدأ في الشك وعدم الثقة بالنفس، ثم يصاب بالإحباط، ويؤثر حياة العزلة والقعود.

ولو علم (حقيقة الانتصار) ودرس سير الأنبياء والمرسلين، وأنه ليس إلا مبلغاً، لما وقع في اليأس والفتور.

﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَبْلَغُ الْمُبِينَ﴾ (سورة التحل، الآية: ٣٥)،  
 ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَبْلَغُ الْمُبِينَ﴾ (١٧) (سورة يس، الآية: ١٧)،  
 ﴿لَيَسْ عَلَيْكَ هُدًّا هُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٧٢)، .. ﴿وَمَا أَكْثَرُ  
 النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) (سورة يوسف، الآية: ١٠٣)،  
 ﴿شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّا مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (سورة يونس، الآية: ٩٩)،  
 وليتأمل الحديث الصحيح: « يأتي النبي وليس معه أحد» الحديث<sup>(٢)</sup>.

ز- عدم الاستقرار على برنامج أو عمل، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ولكن لأهميته وغفلة الناس عنه أفردته، فبعض الناس يبدأ في العمل ثم يتتحول عنه، ويتعرف على مجموعة من طلاب العلم ثم يهجرهم

١ - انظر رسالة (حقيقة الانتصار) للمؤلف تجد الكلام مفصلاً.

٢ - أخرجه مسلم (١٩٩ / ١) كتاب الإيمان، رقم (٢٢٠).





إلى غيرهم، ويقرأ على شيخ ثم ينقطع عنه بعد حين، يشرع في الكتاب ولا يتمه، وتستمر حاله هكذا، منبتاً، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، لا هو مع العير ولا مع النفير. وهذا سرعان ما يخبو حماسه، وتقف أنفاسه، ويعود كما كان، ضعفاً بعد قوة.

ومن الأمور المؤدية لهذا السبب: عدم مجود مشروع محدد وسرعة تغير القناعات، وعدم بناء قناعاته على أصول وثوابت يرکن إليها، ودون دراسة علمية جادة ينطلق منها، بل هي عواطف غير مؤصلة، ومواقف حماسية لا تستند إلى برهان، فتقذفه يمنة ويسرة، فهو كما قال الأول:

يُوماً يَمَانٌ إِذَا لَاقِيتَ ذَا يَمَنْ      وَإِنْ لَقِيتَ مَعَدِّيًّا فَعَدَنَانِي

وقد وصف رسول الله ﷺ المنافق بقوله: «مثل المنافق مثل الشاة العاثرة بين الغنميين، تصير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدرى أيهما تتبع» رواه مسلم <sup>(١)</sup>.

ح - الخلاف بين طلاب العلم، والخصام بين الدعاة، وهو أمر يقطع الظهور، ويدمي القلوب، ويورث فيها حسرة وألمًا، ثم تبدأ مرحلة الشك والريبة، ويتدخل الهوى ليؤدي دوره، فيقع المحبون في حيرة، لا يدركون سر الخلاف، ولا يقدرون على الوفاق، فيقول له القائل: انج بنفسك، وما نجا، وما هكذا يا سعد تورد الإبل.

وأصدق مثال على ذلك ما يقع في عصرنا الحاضر، وحيث الخلاف

١ - صحيح مسلم (٢٧٨٤) / ٤ كتاب صفات المنافقين، رقم (٢١٤٦).





بين طلاب العلم على أشدّه، والنّزاع بين الدّعاة قد علا سُهمه، وراج سُوقه، ونفقت بضاعته، فأصبح المخلصون حيارى، والمحبون ثكالى، حتى بدؤوا في التواري، وشرعوا في الانزواء والانطواء، بعد أن فقدوا الثقة، وتعطلت ملكة التفكير، ولم يملّكو القدرة على الإصلاح أو التغيير.

ط - التشكيك وارجاف المنافقين، بلية من البلايا، ورذية من الرزايا، لا يُنكر أثره، ولا تتجاهل عوائقه.

فترى الحديث في النيات والأهداف، وتصيد الأخطاء، وتتبع العثرات، وكيل التهم والافتراط، حتى يصبح الحليم حيران، والعاقل أحمق، ويتكلّم الروبيضة، ولا يقف الأمر عند حد، بل هو كل يوم بين جزر ومد، كأنهم آخذون بالقاعدة النازية: اكذب اكذب حتى تُصدق! فيرتّاب بعض الأتباع والمحبين، وقد يصل الأمر إلى ذات المبتدعين، فيؤثرون العافية، ويتراجعون طلبا للسلامة، وما علموا أنّهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولو صدقوا لقالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمُ الْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٧٣).

ي - الغفلة عن السنن الإلهية في الأمم والأفراد، مما يجعل الإنسان لا يستطيع أن يفسر بعض الظواهر والأحداث، ولذلك قد يصاب نتيجة لذلك بالإحباط والقنوط.

ولو درس سنن الله في الأمم والمجتمعات والأفراد، من خلال القرآن الكريم والسنّة النبوية، لعلم الحكمة مما يرى ويسمع:





﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا ﴾ (٢٣) (سورة الفتح، الآية: ٢٣)، ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبَدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (سورة فاطر، الآية: ٤٣)، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا ﴾ (٦٢) (سورة الأحزاب، الآية: ٦٢).

- النظر إلى من هو دونه في الطاعة والعبادة والدعوة، لا سيما إذا كان هذا المرئي له مكانة، ووصل إلى درجة من العلم، فيوسوس له الشيطان: هل أنت أفضل من هذا؟ إنه يفعل كذا وكذا، بل قد يرتكب بعض المعاصي الظاهرة، أو يدخل بيته شيئاً من آلات اللهو؛ فيكون ذلك له فتنة عظيمة، ومثل هذا قد يستمر في الهبوط، بحجة أن فلاناً عمل كذا، أو لم يعمل كذا، فإذا انتهى من فلان انتقل إلى غيره ممن هو دونه، حتى يصل إلى درجة لا تسر الناظرين، والمهزوم لا يرده شيء.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

- وقوع الشخص في معصية تحرجه أمام أقرانه، وذلك أن هذا الأمر يحدث أثراً عظيماً في نفس العاصي، مما يسبب له النفور من زملائه وإخوانه، وبخاصة إذا كانت هذه المعصية كبيرة في حقه، وتستغرب من مثله، فيستوحش منهم، ويتحاشى مجالسهم، وقد يصل به الأمر إلى الانحراف، والعيش في مجتمع يألف المعصية ولا ينكرها. والصواب أن على من وقع في معصية أن يتقي الله، وأن يتوب إليه،





وعلى إخوانه أن يترفقوا به، وأن يدعوه إلى التوبة وعمل الصالحات

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ الْيَلِٰٰ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ﴾  
 (سورة هود، الآية: ١١٤)، وأن يكون لهم في معاملة رسول الله ﷺ لحاطب - رضي الله عنه - وغيره من زل أو بها أسوة حسنة، وأن لا يعينوا الشيطان على أخيهم.

**م - الدخول على أهل الدنيا**<sup>(١)</sup> ومخالطتهم، وهذا باب يغفل عنه الكثيرون، ولا سيما أن البدایات تكون بنية صالحة، كالنصح، وإبعاد البطانة السيئة، ونحو ذلك، ثم يسمع منهم ما يضعف حماسته، وقد يفتّن فيما يرى ويسمع، بل قد تتغير قناعاته ويدخله الشك، وشيئاً فشيئاً حتى نراه على غير ما كنا نعرفه.

ومنهج السلف في هذا الأمر معروف، ولهذا تحاشى بعض السلف الدخول عليهم خوفاً على دينهم، وهم من هم في الورع والتقوى؛ ولذلك فإن الدخول على هؤلاء له ضوابط ليس هذا مقام بيانها، حيث إن الأمر ليس متاحاً لكل فرد، ولا في كل حين، وعلى من ذهب لفرض شرعاً أن يكون حذراً متيقظاً، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها.

**ن - الجهل بفقه الأولويات:**

إن عدم إدراك فقه الأولويات يجعل طالب العلم والداعية في حيرة من أمره، فتتزاحم أمامه مجموعة من المصالح والأهداف، حتى تبدو

١ - هناك من العلماء وطلاب العلم من يدخل عليهم لأغراض شرعية، وبخاصة فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ثبّتهم الله، ومنهم من يزداد إيماناً، ولكن هؤلاء قلة بالنسبة لغيرهم، والعبرة بالأعم الأغلب.



متعارضة يصعب القيام بها جميعاً<sup>(١)</sup> فيقدم هذه ويؤخر تلك دون ضابط أو قيد ، ومن ثم تتشاءم مجموعة من المشكلات ينوء بحملها ، سببها تقديم المهم على الأهم ، والتكميلي على الضروري ، والمندوب على الواجب . والإنسان له طاقة ، ولقدراته حدود ، فيصاب بالتعب والإرهاق والملل ، وقد يستوحش ثم ينقطع .

#### س- أحاديث النفس ووساوس الشيطان:

من الأسباب الخفية أن يعمل الإنسان فترة طويلة ، فيأتيه الشيطان ويقول له: إنك قد قمت بما يجب عليك ، وقدمت الكثير ، وغيرك لم يقدم نصف ما قدمت ، فلو تفرغت لنفسك وأهلك ، وأنت أفضل من غيرك ، فيحدث نفسه في هذا الأمر كثيراً .

فتعمل فيه هذه الوساوس ، ويفتر شيئاً فشيئاً ، ثم ينصرف عن العلم والدعوة ، وهذا يُخشى عليه من حبوط العمل؛ لأن مبعث هذا الأمر قد يكون إعجاباً بما قدم ، أو منه على الله بما عمل ﴿قُل لَا تَمُنُّوا عَلَيْهِ إِسْلَامَكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الحجرات ، الآية: ١٧) ، وقل مثل ذلك في كثير من أحاديث النفس ووسائل الشيطان ، وخطورتها عندما يتكلم أو يعمل .

ع- الفتور في علاج الفتور ، وذلك أن الفتور مرض من الأمراض تكون بداياته غالباً يسيرةً ، فإذا تساهل فيه المسلم ، ولم يبادر إلى

١ - من أدلة ذلك كثرة الأسئلة عن التوفيق بين العلم والدعوة ، مع أنه لا تعارض بينهما ، بل هما متلازمان .



علاجه، والبحث عن أسبابه، سرعان ما يزداد ويتأصل، وهنا يصبح علاجه أشد وأقسى، ويحتاج إلى جهد مضاعف ووقت أطول.

وقل أن يسلم أحد من فتور عارض، ولكن يختلف الناس في مواجهة هذا الفتور، فمنهم الحازم اليقظ، الذي يبادر إلى تلافي هذا المرض واستدراكه، وآخرون يماطلون ويسووفون حتى يقع ما كنا منه نحاذر.

ومع ذلك فعلى المسلم ألا يستسلم للنهاية حتى ولو كان فرط في البداية، فبعض الشر أهون من بعض، وليتذكر قول المصطفى ﷺ: «ألا إن لكل شيء شرّة ولكل شرّة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه» <sup>(١)</sup>.



---

١ - أخرجه الترمذى (٥٤٨/٤) كتاب القيامة، رقم (٢٤٥٣) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألبانى كما في صحيح الجامع رقم (٢١٥١).



## علاج الفتور<sup>(١)</sup>

"ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه، وجده من جده".

والفتور من أشد الأمراض المعنوية، وتأكد خطورته حينما لا يحس الإنسان به، فيقضى عليه، كما تقضي بعض الأعراض على أصحابها حينما لا يدركون خطورتها، فيتساهلون في علاجها أول الأمر، فيصعب بعد ذلك تلافيتها والقضاء عليها.

والفتور أول طريق الانحراف والضلالة ذلك أن كثيراً من المنحرفين بعد استقامة والتزام مرروا بمرحلة الفتور قبل انحرافهم وضلالهم.

ومن هنا تتأكد أهمية المبادرة إلى علاج الفتور، وعلاجه إما باتخاذ سبل الوقاية منه ابتداء، وإما بعمل الأسباب التي تذهبه بعد وقوعه.

وأهم سبل العلاج تلقي أسبابه، ذلك أننا إذا تلقينا أسباب الفتور استطعنا – بإذن الله – أن نسلك المنهج الصحيح للنجاة منه.

وقد أشرت عند ذكر كثير من الأسباب إلى طرق العلاج باختصار، ولذلك فسأحاول عدم التكرار هنا، إلا لما أعدده أصلاً في العلاج ورकنا من أركانه.

---

١ انظر كتاب (وما بدلوا تبديلا) فقد ذكرت أهم أسباب الثبات على الطريق، والجد والاجتهد.



ولأنني أرى أن تلقي أسباب الفتور أهم وسيلة للنجاة منه، فسأذكر وسائل وطرق العلاج بما يناسب المقام، ذلك أن هذه الوسائل والعوامل واضحة لا لبس فيها ولا غموض، مما يكفينا مؤونة الشرح والتطويل، مما قد يصيب القارئ بالملل والفتور.

وبادئ ذي بدء أقول: إن القناعة بخطورة الفتور، ووجوب التخلص منه وقاية وعلاجاً، ضمانة معتبرة لـلإفادة من سبل العلاج وطرق الخلاص، وهذه القناعة أساس العلاج والوقاية.

وقد يرى بعضهم فيما ذكرته وما سأذكره شيئاً من التكرار، أو إغفال بعض الأسباب والوسائل، فأقول: إنني لا أدعى الكمال أو السلامة من النقص والتقصير، ولكن قد أكرر سبباً أو وسيلة، وذلك لأهميتها واشتمالها على زيادة لم تضمن في الموضع الذي وردت فيه أولاً. أما إغفال ذكر بعض الأسباب والعوامل، فذلك إما لوروده ضمناً فيما ذكر، أو لأنني لا أرى أهميته وقوتها تأثيره، وقد يكون ذلك ذهولاً وتقصيرًا، والكمال لله وحده.

والآن حان وقت الشروع في ذكر سبل وعوامل السلامة والنجاة من الفتور، ومن الله نستمد العون، ونسأله التوفيق والسداد والإخلاص.

#### ١ - تعاهد الإيمان وتتجديده:

روى الحاكم والطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألو الله أن يجدد الإيمان في



قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

ويفى حديث آخر قال ﷺ: «ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذ علته سحابة فأظلم، إذ تجلت عنه فأضاء»<sup>(٢)</sup>.

إن تعاهد الإيمان وتتجديده وقاية - بإذن الله - من كثير من الأمراض، ومنها الفتور، ولذلك ذكر شيخ الإسلام أنه دائمًا يتعاهد إيمانه ويجدده.

وعلى هذا الباب يحمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَقْوَى إِذَا مَسَّهُمْ طَغَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَنِنَ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠) (سورة الأعراف، الآية: ٢٠١). ومن هذا زيادة الإيمان وصيانته: ﴿لِيَزَدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم﴾ (سورة الفتح، الآية: ٤)، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ (سورة التوبة، الآية: ١٢٤).

ومما يزيد الإيمان كثرة العبادة، والمحافظة على السنن والرواتب، وتعاهد قيام الليل وصلاة التهجد، والمحافظة على الوتر في الحضر والسفر. وكذلك صيام النوافل وظماء الهواجر، وتحري الأيام الفاضلة للمبادرة إلى صيامها.

ومما يزيد في الإيمان: صدقة السر، وصلة الرحم، والبر

١ - أخرجه الحاكم في المستدرك (١١/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٥٧/١)، رواه الطبراني وإسناده حسن.

٢ - أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٦/٢)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٢٢٦٨).



بالوالدين، والعطف على الفقراء والمساكين والأيتام، والإحسان إليهم، وفقد أحوالهم. وقل مثل ذلك في العمرة، والحج، والتبكير إلى المساجد، والاعتكاف.

إن هذه العبادات تعطي المؤمن دفعة إيمانية، وزاداً في الطريق، وتحفف عنه ما يجده من مصائب ومصاعب، فقد كان صلوة إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول: «أرحنا يا بلال بالصلاه» <sup>(١)</sup>.

## ٢ - مراقبة الله والإكثار من ذكره :

حقيقة المراقبة: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» <sup>(٢)</sup>. ومراقبة الله تستلزم عدة أمور:

- ١ خوفه وخشيته، والبعد عن معصيته.
- ٢ تعظيمه جل وعلا.
- ٣ الإيمان المطلق بعلمه وإحاطته وقدرته.
- ٤ محبته ورجاءه.

إن الذي يستصحب هذه الأركان الإيمانية لا يمكن أن يفتر لحظة عن مراقبة الله وعبادته، وما يعين المسلم على ذلك كثرة ذكر الله وتحميده وتمجيده سبحانه وتعالى، ولذلك جاءت الآيات والأحاديث آمرة بذكر الله:

١ - أخرجه أبو داود (٢٩٦/٤) كتاب الأدب رقم (٤٩٨٥)، وأحمد في المسند (٣٦٤/٥) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢).

٢ - جزء من حديث جبريل الطويل. أخرجه مسلم (٣٦/١) كتاب الإيمان، رقم (٨) والبخاري مختصرًا (٦/٢٠، ٢١) كتاب التفسير، سورة لقمان.





﴿يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) (سورة الأحزاب، الآية: ٤١)، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (سورة العنکبوت، الآية: ٤٥)، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ﴾ (سورة الكهف، الآية: ٢٤). ﴿أَلَا إِذْنِكُرْ اللَّهَ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢٨).

ووصف الرسول ﷺ الأذان بـ " الدعوة التامة" ،<sup>(١)</sup> وكان لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولذلك قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»<sup>(٢)</sup>.

وقراءة القرآن مع تدبره من أفضل الذكر، ولذلك فعلى المسلم أن يكون له ورد يومي من كتاب الله، وليحذر أن يكون ممن يهجر القرآن، فيدخل فيمن يقول الرسول ﷺ فيهم: ﴿يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَنْخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (سورة الفرقان، الآية: ٣٠)، والهجر يكون في العمل والتلاوة. ويجب أن يتدارس القرآن ويتفكر فيه، ليكون له الأثر في علمه وعمله، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) (سورة محمد، الآية: ٢٤).

ومما يلحظ على بعض الدعاة وطلاب العلم في هذا العصر:

١ - أخرجه البخاري (١٥٣/١) كتاب الأذان، باب [٨].

٢ - أخرجه الترمذى (٤٢٧/٤) كتاب الدعوات، رقم (٣٣٧٥) وابن ماجة (١٢٤٦/٢) كتاب الأدب، رقم (٣٧٩٣) قال الترمذى: غريب من هذا الوجه، وصححه الألبانى كما في صحيح الجامع، رقم (٧٧٠٠).





التساهل في هذا الباب والغفلة عنه، حتى إن بعضهم قد لا يتم أذكار ما بعد الصلوات، وأوراد الصباح والمساء، بحجة الانشغال بالدعوة والعلم، وهذا من الشيطان فقد، كان السلف يواظبون على ذكر الله كما وصفهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَيْمَاً وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٩١). وتأمل هذه الآية: ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٥٢). وهل يضعف أو يهون من كان الله له ذاكراً؟

يقول ابن القيم - رحمه الله<sup>(١)</sup>: إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيته وكلامه وإقامته وكتابته أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً. وقال في موضع آخر عن فوائد الذكر: إنه قوت القلب والروح، فإذا فقدمه العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، وحضرت شيخ الإسلام مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلى فقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد هذا الغداء سقطت قوتي<sup>(٢)</sup>.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه

١ - انظر الوايل الصيб ص ١٥٥.

٢ - انظر الوايل الصيб ص ٨٥.



- أن النبي ﷺ قال له: «يا عبد الله بن قيس»، قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة، قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم:

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف ركوب الأهوال<sup>(٣)</sup>.

### ٣- الإخلاص والتقوى:

كما أن ضعف الإخلاص سبب من أسباب الفتور، فإن الإخلاص وتعاهده وتجدیده من أعظم أسباب الوقاية من الفتور، ذلك أن المخلص المتقي يجعل الله في قلبه نوراً وفرقاناً، ﴿إِن تَئْقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٢٩). ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾<sup>(٤)</sup>. (سورة الأنعام، الآية: ١٢٢)، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَإِمْنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ

١ - أخرجه البخاري (٥ / ٧٥) كتاب المغازي، باب [٣٨] ومسلم (٤ / ٢٠٧٦) كتاب الذكر رقم (٢٧٠٤).

٢ - انظر صحيح مسلم (٤ / ٢٠٦٧، ٢٠٧٦) كتاب الذكر، رقم (٢٧٠٤).

٣ - انظر الوابل الصيب ص ١٥٧.

٤ - سورة الأنعام آية: ١٢٢.



رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (سورة الحديد، الآية: ٢٨).

والمزالق في طريق الداعية وطلب العلم كثيرة جداً، كالشهوة الخفية، والعجب، والتعلق بالدنيا، وهذه مهلكات علاجها الإخلاص والتقى—وى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٦٩). ولقد رأينا وعاصرنا علماء بلغوا فوق الثمانين وهم في قمة نشاطهم، وكأنهم في سن الثلاثين، وسر ذلك تقواهم وإخلاصهم – هكذا نحسبهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً – وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

#### ٤- تصفية القلوب :

امتن الله على نبيه ﷺ بأن شرح<sup>(١)</sup> له صدره ﴿أَلَمْ نُشَرِّحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (سورة الشرح، الآية: ١)، ووصف أهل الجنة ﴿وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٤٣)، وأثنى على المؤمنين الذين يقولون في دعائهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِ أَغْلَى لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (سورة الحشر، الآية: ١٠)، ووصف المؤمن والكافر في آية واحدة فقال: ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلَلَ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ١٢٥) وقال أبونا

١ - وشرح الصدر حساً ومعنى حيث إن الشرح المعنوي أثر من الحسن.





إبراهيم: ﴿إِلَّا مَنْ أَنَّقَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراة: ٨٩

إن تصفية القلوب من الأحقاد والحسد وسوء الظن من أعظم أسباب شرح الصدر، بل إن شرح الصدر وسلامة القلب مقتربان، وليس أقسى على المرء ولا أثقل من قلب مليء بالغل والهوى وسائر الأدناس، يقعده عن العمل ولا يهناً بعيش، أما صاحب القلب السليم، والصدر المنشرح الحليم، فإنه يتجدد ويزداد نشاطاً وإشراقاً، وهكذا كان أبونا إبراهيم - عليه السلام - ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات، الآية: ٨٤) ولذا لم يرد أنه دعا على أحد.

ومما يساهم في تصفية القلوب، وتنقيتها من الضغائن ما يلي:

أ- استمرار الصلة بين العاملين في حقل الدعوة إلى الله، وفتح باب المناقشة وتقريب وجهات النظر؛ لأن البعد جفاء، والخلاف شر.

ب- التماس الأعذار، وحمل الناس على أحسن المحامل إن وجدت لذلك محملًا شرعاً وعقلياً، ودفع السيئة بالحسنة ﴿أَدْفَعْ بِالْقَيْرَى هَـٰئِي أَحَسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدُوٌّ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٤). والعفو زينة الرجال ﴿فَمَنْ عَفَّ كَوَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة الشورى، الآية: ٤٠).

ج- المصارحة بين المسلم وأخوانه، وعدم الاستماع إلى الأقاويل والوشایات، والمبادرة إلى إزالة ما يقع، والتحقق مما تسمع؛ لأن التأخر والتسويف يزيد الأمر سوءاً وفتوراً والبعد جفاء.





د- تذكر دائمًا قصة الصحابي الذي شهد له الرسول ﷺ بالجنة، وكان من صفاته: أنه ما بات ليلة وفي قلبه غل على مسلم كما في حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- .

ومن صفات المؤمنين أنهم يقولون: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (سورة الحشر، الآية: ١٠)، فكن منهم وفلك الله.

## ٥- طلب العلم والمواظبة على الدروس وحلق الذكر والمحاضرات:

العلم نور يرفع صاحبه إلى الدرجات العلي: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (سورة المجادلة، الآية: ١١)، والعلماء هم الذين يخشون الله لأنهم يعرفونه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر، الآية: ٢٨)، وشتان بين عالم وجاهل: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٩).

إن العالم الرباني يزداد عطاوه يوماً بعد يوم، فعلى قدر زيادة علمه يزيد عمله؛ لأنَّه يزداد معرفة بالله وبحقه وما أعده للعاملين، ولذلك كان "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب".

والمواظبة على الدروس والمحاضرات تزيد العلم، وتنمييه وتدفعه إلى الأئمَّا، وحلق الذكر تجلو ما يلحق المؤمن من صدأً وضعف وفتور،

---

رواها أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي. قال الألبانى: (حسن وغيره) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٧ / ١).





وتبت فيه نشاطاً وحيوية وحماسة.

ومما يدخل في باب العلم:

**العلم بفضل العمل ومكانته:**

مما يزيد في إيمان المسلم، ويدفعه إلى العمل والإنتاج، ويبعد عنه الكسل والفتور، معرفة فضل العمل الذي يقوم به ومكانته الشرعية.

ولذلك قال الخضراء موسى – عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ

تُحْكَمْ بِهِ خُبْرًا﴾ (سورة الكهف، الآية: ٦٨).

إنه لا يستوي رجلان: رجل يؤدي العبادة وهو يعلم أنها عبادة، لكنه لا يعلم فضلها وما أعده الله للعاملين، وآخر قد فقه ما ورد فيها من نصوص تبين منزلتها، وما أعده الله من أجر عظيم لمن قام بها.

ولذلك لما ذكر رسول الله ﷺ ثقل الصلاة على المنافقين قال: « ولو علمنا ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»<sup>(١)</sup> فجعل رسول الله ﷺ معرفة الأجر سبباً لنبذ الفتور والكسل، حتى لو كان من أسوأ أنواع الفتور، وهو فتور المنافقين. فإذا كانت معرفة الأجر والمثوبة ستؤثر في المنافقين، فلا شك أن تأثيرها في المؤمنين أقوى وأرجى.

وكذلك فضل الصبر على الطاعة وعن المعصية، العلم به يعطي المسلم قوة وقدرة على التحمل، ولو تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ﴾

١ - أخرجه البخاري (١ / ١٦٠) كتاب الأذان باب [٣٤] ومسلم (١ / ٤٥١) كتاب المساجد رقم (٦٥١) [٢٥٢].





**أَجَرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿سورة الزمر، الآية: ١٠﴾، لكان حصنًا عن الضعف والتراجع.

وكذلك التذكير بفضل الأعمال، والتحذير من عواقب الإهمال والتقصير والتفرط، مما يسهم في علاج هذا المرض والوقاية منه، فكم من إنسان سمع موعظة فزادته إيماناً ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُوَّتُهُمْ وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٢).

وكم من مسلم سمع موعظة فأقلع عما هو فيه، وجدد إيمانه ونشاطه، ونبذ الفتور خلفه ظهريًا، وصدق الله العظيم: ﴿وَذَكْرُ فَإِنَّ الْذِكْرَى تَنَفَّعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الذاريات، الآية: ٥٥).

## ٦- فقه الواقع:

وهو من فروع العلم، ولكن لأنّ أهميته وعلاقته المباشرة بهذا الموضوع، أفردته تنويعها بأشره في علاج الفتور.

ذلك أن إدراك المسلم لواقعه وما يجري فيه، وفقهه لهذا الواقع، بما فيه من مآس، وما يتطلبه من جهود وعمل متواصل، يبعد عنه أي فتور أو تراجع إن كان في القلب إيمان وإسلام. فكيف يرکن المسلم للدعة وهو يرى أمته يحيط بها الأعداء، ويتنادون من كل حدب وصوب لإلجهاز عليها، والعبث في أرضها وخيراتها؟!

كيف يتراخي وهو يشاهد بلاد المسلمين مستباحة من قبل اليهود



والنصارى، فمن أفغانستان، إلى البوسنة والهرسك، إلى الصومال، وقبل ذلك فلسطين، والفلبين، وأرتيريا، وزنجبار؟ وكل يوم تتجدد مآس ومصائب كما في العراق والشام وغيرهما.

هل يمكن لطبيب محترم أن ينام ملء جفونه وهو يرى رجلاً مضرجاً بدمائه، يحتاج إلى نجدة وإسعاف؟

هل يمكن لجيش جاد يرى العدو على حدود بلده ثم يلهم ويعبث، دون أن يعلن حالة استفار ومرابطة؟

هل يمكن لعالم رباني أن ينزل بلداً يعيش أهله بين أمية وجهل فينزوي وينطوي، دون أن ينصب نفسه معلماً هادياً؟

كل ذلك لا يكون، فكذلك من يفقه واقع أمته وحالها، كيف يجد الفتور إلى قلبه طريقاً، وإلى عمله سبيلاً؟ هذا بعيد كبعد عاد وثمود، إلا من عاش الهوان، ورضع الذل والعبودية، فقد الإحساس ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكَرِّمٍ﴾ (سورة الحج، الآية: ١٨).

من يهن يسهل الهوان عليه      ما لجرح بميت إيلام  
أما إذا جهل واقعه، وبرد قلبه، ولم يحس بماس أمته فإن الفتور مضجه.

#### ٧- سلامة المنهج وتأصيل المنطلقات والعناية بمنهج التلقى:

مما يجب أن يعني به طالب العلم والداعية سلامة المنهج الذي يسلكه في طلب العلم والدعوة إلى الله، ذلك أننا في زمان كثرت فيه المدارس الدعوية، والمناهج العلمية، واختلط الحابل فيها بالنابل.



إن سلامة المنهج تقي الداعية التذبذب والحيرة والارتياح، وتعطيه الطمأنينة والثقة والثبات، ذلك أنه إذا اتبع منهاجاً فيه خلل فلن يحقق الأهداف الشرعية التي يسعى إليها، ثم إنه – غالباً – سيكتشف الخلل في منهجه بعد أن يكون بذل جهوداً حسية ومعنوية في هذا الطريق المعوج، مما يورثه حسرة وألمًا على ما ماضى من زمان، وما بذل من جهود، ثم قد يصاب بنوع من الإحباط واليأس، وقد يصل إلى مرحلة الشك، ويقول له شيطانه: وما يدريك أن هذا المنهج صحيح.

إن الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، والسير على هدي السلف الصالح والعناية بالتوحيد قبل غيره عامل مؤثر في الاستقرار والاستمرار، ويشيع في النفس راحة وهدوءاً، وكلما مرت الأيام ازداد رسوحاً ويقيناً.

سلامة الأسلوب – أيضاً – لها أثرها الفعال في تحقيق الأهداف وجمي الثمار، وهذا الأمر دافع لمزيد من العطاء والتفاؤل الذين يسهمان في الثبات والبقاء. وعلى طلاب العلم والدعاة التأكد من سلامة المنهج والأسلوب، ديانة أولاً، ونتيجة ثانياً، والحذر من المناهج المنحرفة والبدعية، و «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(١)</sup>:

من غرس الحنظل لا يرتجي      أن يجتني السكر من غرسته  
إن تأصيل المنطلقات والأعمال، وربطها بالكتاب والسنة، وقاية –

١ - أخرجه البخاري (١٦٧/٢) كتاب الصلح، باب [٥]. ومسلم (١٣٤٣/٣) كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).





بإذن الله - من الحيرة والتذبذب، وعامل من أهم عوامل الثبات والاستقرار والاستمرار. وكل ما مضى يدور على أصل عظيم وهو العناية بمنهج التقى: ﴿ وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا ﴾ (سورة الحشر، الآية: ٧).

## ٨ - الوسطية :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٤٣)، والوسطية من سمات هذه الأمة، كالخيرية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١١٠)، والوسطية كما تكون في العقيدة تكون في الأعمال، والذين يجانبون هذا المنهج كالغلاة والمتشددين سرعان ما يفترون، وبخاصة الغلو والتشدد في الأعمال من العبادة، وطلب العلم، والدعوة إلى الله، وقد سبق تفصيل ذلك في الأسباب.

وقد تطاورت نصوص الكتاب والسنّة بلزوم منهج الوسطية، والبعد عن التكلف والتشدد والتطبع فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٦)، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْدِينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (سورة الحج، الآية: ٧٨). ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ (سورة الشرح، الآيات: ٥، ٦). ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى يُسْرَكَ ۝ ﴾ (سورة الإسراء، الآية: ٢٩)، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الْرِّزْقِ ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٣٢)،





﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٧١). ﴿وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا وَلَا سُرْفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٣١).

ومن السنة والأثر «هلك المتطعون، هلك المتطعون»<sup>(١)</sup> «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»<sup>(٢)</sup> «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»<sup>(٣)</sup> «إن هذا الدين يسر ولن يشد الدين أحد إلا غلبه»<sup>(٤)</sup>. «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تتفررا»<sup>(٥)</sup>. «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»<sup>(٦)</sup> «وكان أحب العمل إليه ما داوم عليه صاحبه»<sup>(٧)</sup>.

إن الوسطية منهج حياة، وهي من فقه هذا الدين؛ ذلك أن الالتزام

١ - أخرجه مسلم (٤٠٥٥) كتاب العلم رقم (٢٦٧٠).

٢ - أخرجه البخاري (١٦) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (١/٥٤٢) كتاب صلاة المسافرين رقم (٧٨٥) [٢١٨].

٣ - أخرجه النسائي (٥/٢٦٨) كتاب مناسك الحج، رقم (٣٠٥٧). وابن ماجة (٢/١٠٠٨). وكتاب المناسك، رقم (٣٠٢٩). وأحمد (١/٢١٥، ٣٤٧) وصححه الحاكم (١/٤٦٦) ووافقه الذهبي، ووافقاهما الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣).

٤ - أخرجه البخاري (١٥) كتاب الإيمان، باب [٢٩].

٥ - أخرجه البخاري (٥/١٠٨) كتاب المغازي، ومسلم (٣/١٣٥٩) كتاب الجهاد، رقم (١٧٣٣).

٦ - أخرجه البخاري (٧/١٨٢) كتاب الرقاق، باب [١٨] ومسلم (١/٥٤١) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٢) [٢١٨، ٢١٦].

٧ - أخرجه البخاري (١٦) كتاب الإيمان، باب [٣٢] ومسلم (١/٥٤٢) كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٥) [٢١٨].





بها ضمانة لتجاوز المحن والابتلاءات، فيصبح لدى المسلم قدرة عجيبة لتجاوز المحن والشدائد، وذلك بإعماله النصوص الشرعية في مواضعها، ومراعاة تغير الأمكنة والأزمان والأحوال، دون إخلال بأصول هذا الدين، اضطراباً أو جموداً، و «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>. وإن أردت مزيد بيان لتربية رسول الله ﷺ صحابته على منهج الوسطية، فاقرأ ما يلي وتأمل:

١ - روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه «تزوج امرأة من قريش فكان لا يأتيها، كان يشغلها الصوم والصلاه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «صم من كل شهر ثلاثة أيام»، قال: إنني أطيق أكثر من ذلك، فما زال به حتى قال له: «صم يوماً وأفطر يوماً»، قال له: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال: إنني أطيق أكثر من ذلك، قال: «اقرأ في كل خمس عشرة»، قال: إنني أطيق أكثر من ذلك، قال: «اقرأه في كل سبع»، حتى قال: «اقرأ في كل ثلات»<sup>(٢)</sup>.

٢ - قصة الثلاثة نفر الذين سألوا أزواج الرسول ﷺ عن عمله في السر، فكأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً

١ - أخرجه البخاري (٢٥/١) كتاب العلم، باب [١٠] ومسلم (١٥٢٤ / ٣) كتاب الإمارة، رقم [١٧٥] ١٠٣٧.

٢ - أخرجه البخاري (٢/٢٤٥، ٢٤٦) كتاب الصيام، باب [٥٦]، [٥٨]. ومسلم (٨١٢/٢)، (٨١٣) كتاب الصيام، رقم (١١٥٩).





وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء، فلا أنزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا»؟ أما والله إني لأشاكمكم لله وأتقاكم له لكنني أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأنزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

#### ٩- تنظيم الوقت ومحاسبة النفس<sup>(٢)</sup>:

مما يساعد في إنجاز الأعمال وأدائها: الدقة في تنظيم الوقت، أرأيت الصلوات الخمس لو لم تكن محددة بوقت معلوم، وترك للناس اختيار الوقت المناسب لأدائها، كم من الناس سيصل إلى كل يوم خمس صلوات دون تأجيل أو تسوييف؟ بينما تحديد وقتها يجعل المسلم يمضي عمره وهو يؤديها بيسراً وسهولة وراحة، حتى إنه يألفها ويجد سلوته فيها، وذلك على قدر إيمانه وتقواه ﴿وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ﴾ (٤٥) (سورة البقرة، الآية: ٤٥)، «يا بلال أرحنا بالصلاه»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الصيام، لو طلب من المسلمين صيام ثلاثين يوماً دون تحديد شهر معين، يا ترى كيف تكون حال الناس في ذلك؟ وانظر لمن

١ - انظر: كتاب (الغلو) لعبد الرحمن الويحق فقد أجاد وأفاد، وكذلك كتاب (الوسطية في القرآن الكريم) للمؤلف.

٢ - ويدخل في ذلك نقد النفس، وتقبل نقد الآخرين، فالمسلم مرأة أخيه المسلم، دون مبالغة أو غلو: ومن دعا الناس إلى ذمه ذمه بالحق وبالباطل.

٣ - أخرجه أبو داود (٤٢٩٦) كتاب الأدب، رقم (٤٩٨٥)، وأحمد في المسند (٧٨٩٢)، رقم (٥٣٦٤)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع، رقم (٣٧١).





يفطر عدة أيام لعذر كيف يؤجل حتى قد يأتي رمضان الآخر وما قضى  
ما عليه.

بينما تحديده في شهر معين في السنة جعل له ميزة وخاصية،  
وال المسلمين ينتظرون قدومه بشوق ولمحة، ويتعلمون إليه بمحبة ورغبة.  
وقل مثل ذلك في جميع الأمور التي حددتها الإسلام ووقتها.

فإذا نظم المسلم وقته، وحاسب نفسه على ذلك بورك له فيه،  
وكلما مضت الأيام إذا هو يزداد عملاً ونشاطاً، حتى يصبح هذا الأمر  
إلفة وسجية، لو ضاعت عليه ساعة من حياته لوجد لها أثراً وحسرة،  
فمثل هذا كيف يضيع يوماً أو شهراً، أو يتراخي عن عمل ذي بال؟ هذا  
لا يكون.

واسئل التاريخ عن سلفنا الصالح كيف كانوا يعيشون، وانظر  
إلى ما قدموا لهذه الأمة من أعمال عظيمة في سنين قليلة، وذلك لتقواهم  
ودقتهم في أوقاتهم، ومحافظتهم عليها، ومن ثم محاسبة النفس على  
ذلك <sup>(١)</sup> فسجلوا صفحات بيضاء في جبين التاريخ، فهم رهبان بالليل  
أسود بالنهار، لا يعرفون خمولاً أو تسويفاً أو فتوراً.

#### ١٠ - لزوم الجماعة :

مما أوصى به الرسول ﷺ حذيفة رضي الله عنه وهو يسأله عن المخرج عند  
حدوث الفتنة، أن قال له - عندما قال حذيفة: فما تأمرني - قال: «تلزم

---

١ - فقد ورد عن الفاروق - رضي الله عنه - قوله: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.





جماعة المسلمين وإمامهم<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ في حديث آخر يوصي أمه: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»<sup>(٢)</sup>.

قال ﷺ لأصحابه: «وأمركم بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا كانت ميتته ميتة جاهلية»<sup>(٣)</sup>.

إن الجماعة هنا، هي جماعة أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وهي أعم من الجماعة الخاصة، حيث إن بعض الناس ينزلون هذه الأحاديث على جماعاتهم الخاصة، وإن كانت هذه الجماعات داخلة في جماعة المسلمين الواردة في النصوص، إذا كانت ملتزمة بالمنهج الصحيح، بعيدة عن الابتداع والانحراف والضلal، مما يسبب الحزبية وفساد القلوب.

إن التزام المسلم بجماعة المسلمين، و اختياره الرفقة الصالحة والوسط الطيب سبب للنجاة من كثير من الشرور، ومن ذلك التراخي

١ - أخرجه البخاري (٩٣/٨) كتاب الفتن، باب [١١] ومسلم (١٤٧٥/٣) كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٧).

٢ - أخرجه الترمذى (٤/٤٠٤) كتاب الفتن، رقم (٢١٦٥)، وأحمد في المسند (١٨/١) وقال الترمذى: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألبانى في تحريره لأحاديث السنة لابن أبي عاصم.

٣ - أخرجه البخاري (٨٧/٨) كتاب الفتن، باب [٢] ومسلم (١٤٧٧/٣) كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٩).



والفتور، حيث إن إخوانه يشدون من عضده، ويعينونه على تجاوز بنيات الطريق، ويحملونه على الجد والنشاط، ويبيّنون فيه روح التنافس والمسابقة: ﴿سَاقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضًا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الحديد، الآية: ٢١).

ولا يتصرّون أحد منا أنه يمكن أن يعيش وحده، فذلك هو الهراء بعينه، إلا وقت أوان العزلة الشرعية، وتلك لم يحن وقتها بعد، " وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" <sup>(١)</sup>.

#### ١١ - تعاهد الفاتريين:

مما يلحظ على كثير من طلاب العلم والدعاة والمربين أنه إذا فتر أحد إخوانهم أو طلابهم تخلوا عنه وأهملوه، ومن ثم يزداد تقصيراً وفتوراً، وقد يهلك وهم لا يشعرون. وقد شكا كثيراً من مر بهذه الحالة من هذا الواقع.

والواجب أن يتقدّم الدعاة وطلاب العلم والمربيون إخوانهم وطلابهم، ويتعاهدوهم، فإذا علموا أن أحدهم قد دبّ الفتور في أوصاله كثروا زيارتهم له، واستهضوا همته، وشدوا من أزرّه، وخففوه بالله، وبحثوا عن سبب فتوره ونفوره، فإن كانت مشكلة حلّوها، أو قضية عالجوها، أو رفقه سيئة أبعدوها، ويستمروا على ذلك حتى تعود المياه إلى مجاريها، أو يذرّوا أمام الله ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) سبق تخيّجه.

٢ - سورة البقرة آية: ٩٦.



وعليهم بالرفق وحسن الصحبة، "فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه"<sup>(١)</sup>، مع عدم تضخيم الأخطاء والسلبيات، مما يسبب الوحشة والفتور.

## ١٢ - التربية الشاملة المتكاملة :

لا يخفى ما للتربيـة من أثر في حـيـاة الإـنـسـانـ، ولـذـلـكـ قـالـ النـبـيـ ﷺـ «ـكـلـ مـولـودـ يـوـلدـ عـلـىـ الـفـطـرـةـ فـأـبـواـهـ يـهـوـدـانـهـ أوـ يـنـصـرـانـهـ أوـ يـمـجـسـانـهـ»<sup>(٢)</sup>ـ.ـ وقد اختلفت المدارس التربوية المعاصرة، ونتيجة لذلك رأينا الاختلاف والتباين في سلوك الناس وتفكييرهمـ.

وقد غالبـ علىـ كـثـيرـ مـنـ المـارـسـ التـرـبـويـ الدـعـوـيـ تـغـلـيـبـ جـانـبـ علىـ جـانـبـ،ـ والعـنـاـيـةـ بـهـ دونـ سـوـاهـ.

والمنهـجـ السـلـيمـ المـسـتـقـىـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ هـوـ الـمـنـهـجـ الشـامـلـ المـتـكـامـلـ،ـ الـذـيـ يـواـزنـ بـيـنـ جـمـيـعـ الـحـقـوقـ وـالـمـتـطلـبـاتـ الـشـرـعـيـةـ،ـ وـيـرـبـيـ الـمـسـلـمـ عـلـىـ حـسـنـ أـدـائـهـ وـإـتقـانـهـ.

إن تربية الشخصية المتوازنة يعطيها قوة في الانطلاقـةـ،ـ وقدـرـةـ عـلـىـ الاستـمرـارـ،ـ وـبـعـدـاـ عـنـ التـرـاجـعـ وـالـاضـطـرـابـ؛ـ ذـلـكـ أـنـهـ يـسـيرـ وـالـأـمـورـ واـضـحةـ لـدـيـهـ،ـ يـعـطـيـ كـلـ جـانـبـ مـاـ يـسـتـحـقـهـ مـنـ رـعـاـيـةـ وـاـهـتـمـامـ،ـ دونـ إـهـمـالـ أوـ تـجاـوزـ.

١ روأهـ أـحـمدـ فيـ مـسـنـدـهـ (٢٥٧٠٩ـ)ـ وـابـنـ حـبـانـ فيـ بـابـ الرـفـقـ،ـ وـقـالـ الـأـلـبـانـيـ:ـ (ـصـحـيـحـ)ـ انـظـرـ حـدـيـثـ رـقـمـ :ـ ٥٦٥٤ـ فيـ صـحـيـحـ الـجـامـعـ -ـ صـحـيـحـ وـضـعـيـفـ الـجـامـعـ الـصـفـيـرـ (٢٢ـ /ـ ٩١ـ).

٢ - أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ (١٠٤ـ /ـ ٢ـ)ـ كـتـابـ الـجـنـائـزـ،ـ بـابـ [٩٣ـ]ـ وـمـسـلـمـ (٤ـ /ـ ٢٠٤٧ـ)ـ كـتـابـ الـقـدـرـ،ـ رـقـمـ (٢٦٥٨ـ).





ثم إن تربية النشء على العبادة والعلم والدعوة منذ الصغر يجعل هذه الأمور جزءاً من حياته، يألفها وتألفه، يستوحش حال فقدها، ويحزن إن حرم منها ، حتى إنه إذا مرض فحال المرض بينه وبينها كان أشد ألماً لفارقتها منه لمرضه، بخلاف غيره ممن يسر بالمرض والسفر وسائل الأعذار التي تبرر له التراخي والانقطاع، وكلما كانت التربية أشمل وأكمل كانت أبقى وأنقى وأدوم، وعلى قدر الخلل يكون التقسيم.

ومن جوانب التربية التي تقي من الفتور بإذن الله:

- أ- التربية على المبادرة الذاتية ونبذ الاتكالية والاعتماد على الآخرين، على أن يلحظ أهمية التوازن في هذا الأمر.
- ب- التربية على الشعور بالمسؤولية، والقيام بما أوجبه الله عليه، والتخلص مما يحول دون ذلك.

ومن تربية رسول الله ﷺ لصحابته - رضي الله عنهم - أن رباهم على الاعتماد على أنفسهم، دون الاتكال على الآخرين، حتى إنه بايع بعضهم على ذلك، كما روى الإمام مسلم في حديث أبي مسلم الخولاني عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ بايدهم «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والصلوات الخمس وتطيعوا - وأسر كلمة خفيفة: ولا تسألوا الناس شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وروى النسائي عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ «من يضمن لي

---

١ - أخرجه مسلم (٢٧٢١) / (٢٠٨) كتاب الزكاة، رقم (١٠٨).





واحدة وله الجنة؛ ألا يسأل الناس شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وهذه الأحاديث وإن كانت في سؤال الناس أموالهم ونحو ذلك، إلا أن الصحابة فهموا أنها في كل شيء، أو تركوا ذلك تورعاً حماية للعهد والبيعة، فكان أحدهم يسقط سوطه فينزل من دابته ويأخذه ولا يسأل الناس أن يعطوه إياه كما في حديث مالك الأشجعي<sup>(٢)</sup> ، فلله درّهم.

### ١٣ - تنوع العبادة والعمل:

النفس ملولة تكره الرتابة والجمود، وتحب التجديد والتتويع، ومراعاة النفس أمر مطلوب شرعاً، فإن رسول الله ﷺ كان يتخلو صاحبته بالموعظة مخافة السآمة عليهم، وابن مسعود رضي الله عنه كان يمنعه من أن يحدث أصحابه كل يوم خوفاً من أن يملهم، وعلى بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: "إن للنفس إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فحزها بالعزيمة وإذا أدررت فاقصرها على الفرائض".

ولذلك فإن التجديد والتتويع في حدود ما شرع الله، يعطي النفس دفعه وحيوية ونشاطاً، فكم مارس الإنسان من عمل حتى إذا أدركه الفتور فيه وثقل عليه انتقل إلى غيره، فيتجدد نشاطه، وتقوى عزيمته، ويجد فيه لذة ومتعة، ولو استمر في العمل الأول لخارط قواه ووهنت عزيمته، وربما أدى به إلى كرهه والنفور منه.

١ - أخرجه أبو داود (١٢١ / ٢) كتاب الزكاة، رقم (١٦٤٣)، وابن ماجة (٥٨٨ / ١) كتاب الزكاة، رقم (١٨٣٧)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٦٠٣).

٢ أخرجه مسلم باب كراهة مسألة الناس حديث (١٠٤٣) وأبو داود (١٤٤٩)





وقد أرشد النبي ﷺ أمته إذا عجزوا عن عمل أن ينتقلوا إلى غيره من الأعمال التي يستطيعونها، فقد روى البخاري ومسلم – واللهم مسلم – عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: «قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله»، قال: قلت: أي الرقاب أفضل، قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا». قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق». قال: قلت يا رسول الله: أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»<sup>(١)</sup>.

وكذلك نجد أن الرسول ﷺ كثيراً ما يذكر عدداً من الأعمال الفاضلة كما في حديث: «ذهب أهل الدثور بالأجر»<sup>(٢)</sup>، وذلك ليكون أمام المسلم فرصة للتتويج حسب الحال والزمان، دون ملل أو فتور.

ولكن يجب التتبه إلى أن التتويج في العمل لا يعني الفوضى وعدم الاستقرار، فإن هذا من أسباب الفتور كما أشرت سابقاً، والذي يبدأ العمل ولا يتمه، ويقيم المشروع ثم يتخلى عنه، كالتي نقضت غزلها من بعد قوة.

ولذلك يكون التتويج في الأعمال والعبادات التي يقتصر نفعها على أصحابها، والتتويج فيها لا يعني ترك العمل بالكلية، وإنما يعمل العمل

١ - أخرجه البخاري (١١٧/٢) كتاب العتق، باب [٢] ومسلم (٨٩ / ١) كتاب الإيمان، رقم (١٣٦).

٢ - أخرجه البخاري (٢٠٥ / ١) كتاب الأذان، باب [١٥٥] ومسلم (٤١٦ / ١) كتاب المساجد، رقم (٥٩٥).





فإذا تعب تحول عنه إلى غيره، ثم يعود إليه مرة أخرى، كمن يكون في الحرم مثلاً: يصلِي من الليل ما شاء، ثم يقرأ في كتاب الله، أو يذهب ليطوف بالبيت، أو يذكر الله قائماً أو قاعداً أو على جنب. وهكذا في بقية الأعمال والعبادات.

ويكون التوقيع أيضاً في الأعمال التي لا يكون ترك العمل والتحول عنه سبباً لفشلِه وذهابِه، كأن يجد من يحل محله دون أي خلل أو تقصير، مما هو من فروض الكفايات، أما ما سوى ذلك فعليه أن يجاهد نفسه ويتقي ربه، فسيجعل الله له من أمره يسراً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (سورة الطلاق، الآية: ٤)، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجًا﴾ (سورة الطلاق، الآية: ٢)، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا نَهَىٰ نَهَىٰ نَهْمَنَّا﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٦٩).

#### ١٤ - القدوة الصالحة :

للقدوة الصالحة تأثير عجيب في استهانِ الهم والأخذ بالعزيمة. وكثير من النفوس أو أكثرها لا تؤثر فيها الموعظ والترغيب والترهيب، كما يؤثر فيها أن تذكر قصة رجل عصامي أو علم من الأعلام، ولنأخذ هذا المثال:

تحدثت في أكثر من مناسبة عن أهمية الوقت، ووجوب المحافظة عليه، واستدللت لذلك من الكتاب والسنة وسير السلف الصالح وأقوالهم، ثم كنت أختتم الحديث بذكر حياة علم من أعلامنا وشيخ من مشايخنا المعاصرين، وكيف يفيد من وقته، وأنه لا يعرف عنه أنه



أضاع بعض دقائق في يومه، أو أنه أخذ إجازة في عامه أو أسبوعه، فكل حياته عمل وجد ونشاط، عبادة وعلم ودعوة، وقيام بحقوق الخلق والخالق. فكنت أجد أن تأثير هذه القدوة أعظم من تأثير بقية الكلام على أهميته وموضوعيته.

ولذلك فإنني أنبه الدعاة وطلاب العلم والمربيين إلى أهمية المكانة التي يتبوؤنها، وأن طلابهم، ومحبיהם، بل وعامة الناس يتأثرون بأفعالهم أحياناً، أكثر مما يتأثرون بأقوالهم.

وما ذكر الله جل وعلا أنبياءه ورسله في سورة الأنعام ختم ذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفْتَدَهُم﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٩٠)، وقال سبحانه: ﴿لَفَدَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٢١)، ولذلك فإن ذكر حياة العلماء القدوات - وبخاصة المعاصرين منهم - يشد من أزر العاملين، ويوقظ الكسالى والنائمين، ويكون حجة على المتخاذلين المتأولين، الذين يحتاجون بتغير الزمان، وفساد الأحوال.

نعمب زماننا والعيب فينا  
وما لزماننا عيب سوانا  
ونهجوا ذا الزمان بغير حق  
ولونطق الزمان بنا هجانا

ولنقرأ هذه الكلمات لنعرف أثر القدوة في استهانه الهم وشد العزائم.

قال ابن الجوزي: لقيت مشايخ أحواهم مختلفة، يتفاوتون في مقدارهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه،



وإن كان غيره أعلم منه، ولقيت عبدالوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجراً على سماع الحديث. ولقيت أبي منصور الجوالبي، فكان كثير الصمت، شديد التحري لما يقول، متفنناً محققاً، وربما سُئل عن المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن.

فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول<sup>(١)</sup>.

ومما يلحق في باب القدوة وتأثيرها:

#### دراسة سير الأنبياء والمصلحين:

إن دراسة سير الأنبياء والمرسلين - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - وذلك من خلال القرآن الكريم وما ورد في السنة النبوية، وأخذ العبر من حياتهم وموافقهم مع قومهم، وما واجهوه من مشكلات وعقبات.

إن ذلك كله يجعل المسلم يسعى جاداً للحاق بهم واقتفاء آثارهم، ويزيد من صبره وثباته، فكلما واجهته مشكلة ثم قارنها بما لاقاه أولئك احترقها وسهل عليه تجاوزها، فإن آذاه الناس قال: لقد أودي من هو خير مني، وإن كذبه الناس قال: لقد كذب من هو أفضل مني، وهكذا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَّهُمْ أَفْتَدَهُمْ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٩٠)، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ (سورة

١ - انظر صيد الخاطر ٤٤٣.





الأنعام، الآية: ٣٤)، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ بَنِي إِنْسَانٍ أَمْرُسَلِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٣٤). وقال الله لنبيه ﷺ في سورة الأعراف: ﴿فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٧٦). وقال في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبَرٌ لِّا يُؤْلِي أَلْبَيِ﴾ (سورة يوسف، الآية: ١١١).

ومما يزيد من حماسة المسلم ويشد من عضده: معرفة تاريخ المصلحين، وسيرهم مع مجتمعاتهم، وما لاقوه من عنت ومشقة، وكيف صبروا وثبتوا، فإن هذا الأمر له تأثير عجيب في حياة الداعية وطالب العلم، كم يصاب الإنسان بحالة من الكسل أو الملل من طلب العلم فيتذكر أولئك الأعلام، وكيف جدوا واجتهدوا؛ فسرعان ما يعود نشيطاً قوياً.

سئل الشعبي من أين لك هذا العلم كله؟ فقال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وبكور كبار الغراب، وصبر كصبر الجمام. وقل مثل ذلك في الداعية إذا واجهته مشكلة أو مصيبة، ثم تذكر أسلافه وما لاقوه كالإمام أحمد، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وغيرهم، فيعلم أنهم أخذوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٣٩).





## ١٥ - علو الهمة ونبل المقصد والأخذ بالعزيمة :

وذلك بأن يكون هم الإنسان الدار الآخرة، والفوز بالجنة، ومقصده رضا الله جل وعلا، فمن كانت هذه حاله فلن يستقر له قرار حتى ينال مراده، وسيجد في الطلب حتى يحصل على بغيته ﴿وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) (سورة الحجر، الآية: ٩٩)، ولما قال أحد الصحابة للرسول ﷺ: إني أحب مراقبتك في الجنة، قال له المصطفى ﷺ: «أعني على نفسك بكثرة السجود» <sup>(١)</sup>.

وإذا علا مقصد الإنسان وشرفت غايته، زهد في الدنيا وشهواتها، ولو كانت بين يديه، فضلاً عن أن يسعى لتحصيلها، ويقضي عمره جامعاً لحطامها، على حساب دينه وعقيدته. ولذلك لما علت همة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وجعل لقاء الله غايته وأشرف مقاصده، كان أزهد الناس في الدنيا، وهو خليفة المسلمين، لا يملك إلا ثواباً واحداً، ولا يأكل من الطعام إلا الكفاف دون تقتير أو إسراف، والمال بين يديه، والثمرات من كل مكان تجبي إليه.

إن دنو الهمة وتواضع المقصد يؤدي بالإنسان إلى الدعة والاسترخاء، أما علوها، وبعد مرادها ومرامها، فدونه الجد والاجتهد والسهر والعناء:

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام

١ - أخرجه مسلم (٣٥٣/١) كتاب الصلاة، رقم (٤٨٩).





وصدق من قال:

**أَبَيْت سَهْرَان الدُّجَى وَتَبِيْتَهُ نُوماً وَتَبْغِي بَعْدَ ذَاك لَحَاقِي؟!**

ومن علامات علو الهمة أخذ النفس بالعزيمة والجد، وحملها على التضحية، وشغلها بالحق، فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وعمر – رضي الله عنه – استعاد من جلد الفاجر وضعف الأمين.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

#### ١٦ - الإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالخُوفِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ :

قال الرسول ﷺ «أكثروا ذكر هادم اللذات»<sup>(١)</sup> يعني الموت.

وقال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها ترق القلب، وتُدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا»<sup>(٢)</sup>.

إن تذكر الموت والخوف من سوء الخاتمة يبعثان في النفس نشاطاً وجداً، وخوفاً ووجلاً، والخائف لا يفتر.

ومن أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء:

تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء:

١ - أخرجه النسائي (٤/٣) كتاب الجنائز، رقم (١٨٢٤)، وابن ماجة (٢/١٤٢٢) كتاب الزهد، رقم (٤٢٥٨)، والترمذى (٤/٤٧٩) كتاب الزهد، رقم (٢٣٠٧) قال الترمذى: حسن غريب وصححه الألبانى، انظر صحيح الجامع، رقم (١٢١٠).

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٣٧٦)، وانظر: صحيح الجامع، رقم (٤٥٨٤).





تسويف التوبية، وترك الرضا بالكافف، والتکاسل في العبادة<sup>(١)</sup>.

وسوء الخاتمة أمر غفل عنه الكثيرون، مع أنه ورد في الحديث الصحيح: قوله ﷺ: «فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر ابن القيم في كتابه: «الداء والدواء»، وطريق المجرتين قصص عدد من الذين ختم لهم بخاتمة سيئة، حتى إنهم لم يستطعوا أن يقولوا: (لا إله إلا الله) وهم يلقنونها، وقالوا غيرها مما تعلقت به قلوبهم في الحياة الدنيا.

ومما يدفع إلى العمل والنشاط رؤية المحترضين حال النزع، فقد يبقى أثره على الفرد حتى يموت. دخل الحسن البصري على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه، عليكم بطعمكم وشرابكم، والله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه<sup>(٣)</sup>.

## ١٧- الصبر والمصابر:

طريق العلم والعبادة والدعوة إلى الله طريق شاق، تحفه المصاعب

١ - ظاهرة ضعف الإيمان، للمنجد، ص ٥٩.

٢ - أخرجه البخاري (٢١٠/٧) كتاب القدر، باب [١١]، ومسلم (٤/٢٠٣٦) كتاب القدر، رقم (٢٦٤٣).

٣ - التذكرة، ص ١٧، وظاهرة ضعف الإيمان، ص ٥٩.



والمشاق، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِمَّا كَا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾ (٦)

(سورة العنكبوت، الآيات: ١ ، ٢) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمُ  
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْصَّابِرِينَ﴾ (٤٢) (سورة آل عمران، الآية:  
١٤٢).

ولما للصبر من عظيم الأثر في الثبات على الطريق، والعصمة من  
الزلل والانحراف والاستعجال والفتور، جاءت الآيات الكثيرة تبين  
أهميته، وتوصي به، وتحث عليه، ويصعب حصرها في هذا المختصر،  
ولكن أذكر بعضها:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. (سورة الشورى، الآية:  
٤٣).

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا سَتَعِجلْ لَهُمْ﴾ (سورة  
الأحقاف، الآية: ٣٥)، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٥٥)،  
﴿سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعِمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) (سورة الرعد، الآية: ٢٤)،  
﴿أُولَئِكَ يُؤْتَنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (سورة القصص، الآية: ٥٤)،  
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِونَ إِمَّا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِإِيمَانِنَا يُوقِنُونَ  
﴾ (سورة السجدة، الآية: ٢٤).

﴿وَإِنْ تَصْرِفُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (سورة آل  
عمران، الآية: ١٨٦). ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِّ الْأُمُورِ﴾



(سورة لقمان، الآية: ١٧)، ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنْفَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٤٦)، ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِنْدِهِ﴾ (سورة مريم، الآية: ٦٥). ﴿وَأَمْرًا هَلَكَ بِالصَّلَوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (سورة طه، الآية: ١٣٢) ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوةِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٤٥). ﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَيْنَانَا صَبَرَا وَثَكِيتَ أَقْدَامَنَا﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٥٠). ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأَيْطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠).

إن هذه الآيات وأمثالها تدل على منزلة الصبر والمصايرة وأثرهما في حمل الدعوة، وأداء العبادة وبذل العلم.

ومما يعين المسلم على الصبر ويشد أزره، قراءة سير الأنبياء والمرسلين مع أممهم، وما واجهو من مصاعب ومشاق، وكذلك أتباعهم، فلم يهنووا ولم يضعفوا ولم يستكينوا وصبروا: ﴿وَكَانُوا مِنْ نَّبِيٍّ قُتْلَ مَعَهُمْ رِئَيْسُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٤٦).

ولو لم يكن في الصبر إلا منزلة المحبة لكتفى بها شرفاً وعز بها مطلباً، ﴿فَاصْبِرْ صَبَرَاجِيلًا﴾ (سورة المعارج، الآية: ٥). وأكثروا من هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَيْنَانَا صَبَرَا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٢٦). ولا تتمنا لقاء العدو، ولكن وطنوا أنفسكم على إذا لقيتموه



أن تصبروا.

### ١٨ - الدعاء والاستعانة:

ونختم الوسائل المعينة على التخلص من الفتور والنجاة منه بوسيلة من أعظم الوسائل وأقواها تأثيراً، ألا وهي "الدعاء" سهام الليل، وقدائض النهار.

إن الدعاء هو العبادة، وهو صلة بين العبد وربه، يظهر فيه ضعف المخلوق، وقدرة الخالق، وربوبيته، وعظمته.

ولذلك جاءت الآيات آمرة بالدعاء والتضرع إلى الله، وقد وعد سبحانه بالإجابة: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُو﴾ (سورة غافر، الآية: ٦٠)، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (سورة النمل، الآية: ٦٢). وأيهما أعظم اضطراراً: المصاب بيده أم المصاب بيديه؟ وأيهما أشد سوءاً: بلاء الدنيا أم بلاء الدين؟ والفتور بلاء في الدين تهون عنده مصائب الدنيا.

وقال جل وعلا: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٥٥). وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الَّذِي أَدَعَ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ تَجِيدُوا لِمَ يُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ﴾ (١٨٦) (سورة البقرة، الآية: ١٨٦).

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى الدعاء في حال الفتور فقال: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألو الله أن



يجدد الإيمان في قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

## وهل الفتور إلا وجه من أوجه ضعف الإيمان؟

وقد ثبت أنه ﷺ استعاذه من الفتور، والاستعاذه نوع من الدعاء، فقد روى أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من البخل»<sup>(٢)</sup>.

وعنه قال: كنت كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والحزن والعجز والكسل» الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل» الحديث<sup>(٤)</sup>.

بل كان ﷺ يعلم أصحابه هذه الدعوات، فقد روى النسائي بعد أن ذكر الحديث عن زيد بن أرقم قوله: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا هن ونحن نعلمكم موهن» يريد بذلك هذه الدعوات ونحوها.

فعلى المسلم: أن يلح على الله في حال نشاطه وفتوره، وأن يكون

١ - أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٧ / ١): رواه الطبراني بإسناد حسن.

٢ - أخرجه البخاري (٧ / ١٦٠)، كتاب الدعوات، باب [٤٢] ومسلم (٤ / ٢٠٧٩)، كتاب الذكر رقم (٢٧٠٦).

٣ - أخرجه البخاري (٢٢٤ / ٣) كتاب الجهاد، باب [٢٤].

٤ - سنن النسائي (٨ / ٢٦٠) كتاب الاستعاذه، رقم (٥٤٥٨).





صادقاً مخلصاً موقناً بالإجابة، فإن عمر - رضي الله عنه - يقول: "والله إني لا أحملهم الدعاء، ولكنني أحملهم الدعاء".  
ومما يدخل في باب الدعاء الاستغاثة بالله تعالى، وهي مطلوبة في كل أمر وفي كل حين، ولأهميةها فإننا نكررها في كل ركعة من صلاتنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة، الآية: ٥)، ولا يمكن للعبد أن يفعل شيئاً إلا بعونه تعالى، فإن حرم من ذلك خاب وخسر:

إذا لم يكن عون من الله لفتى  
فأول ما يجيء عليه اجتهاده  
ولهذا قال الله سبحانه في سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ  
مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدَأَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية: ٢١).

وقد علم رسول الله ﷺ ابنته فاطمة أن تسأل الله إذا أصبحت وإذا أمست ألا يكلها إلى نفسها طرفة عين، وهذه حقيقة الاستغاثة، فقد روى الحاكم والنسائي والبزار وغيرهم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة - رضي الله عنها: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمست: يا حي يا قيوم برحمتك أستغث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً»<sup>(١)</sup>.

---

١ - أخرجه النسائي في اليوم والليلة، رقم (٥٧٠)، وابن السندي، رقم (٤٨) وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب، رقم (٦٥٤).





## ١٩ - القناعة والكفاف والتحفظ من الدنيا :

إن مما يورث الفتور ويقتل القلب ويضعف العبادة الانشغال بالدنيا، وتعلق القلب بها، وأدق تشخيص لذلك في قوله سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُثَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيْتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أُخْرَى فَمَا مَتَّعْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي أُخْرَى إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة] ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك هو المنهج السوي في القناعة بالقليل والاستغناء على الخلق، والأخذ بأسباب الرزق باعتدال.

وتتأمل هذه الآية ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]، حيث تجعلها في موضع من يذكرك بها، لا أن تشغلك عن العبادة وقصة سليمان عليه السلام مؤثرة في ذلك.

واحذر أن تقع في شيء مما ورد في هذا الحديث فيعدك عن الجهاد « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلة لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم »<sup>(١)</sup>.

## ٢٠ - أين مشروعك في الحياة؟

تحديد مشروع تخدم به دينك وأمتك من أقوى ما ينبع الفتور ويشحد الهم ويعين على الجد والمثابرة؛ فحدد مشروعك، وانظر رسالتي (ولا يلتفت منكم أحد) حيث فصلت في ذلك وبيّنت كيف

<sup>(١)</sup> سنن أبي داود (٢٩١ / ٢)





يحدد المشروع، فمن تبني مشروعًا وتحمل مسؤوليته كمن عنده أسرة كبيرة والتزامات اجتماعية، ستتجده مهتماً بتوفير سبل الرزق والحياة الكريمة لأسرته، كذلك صاحب المشروع يسعى لنجاح مشروع وتحقيق أهدافه دون ملل أو فتور، يتخطى الصعوبات ولا توقفه العقبات، فحدد مشروعك تجد عجباً.

وأود عك أخي الكريم بهذا الدعاء<sup>(١)</sup>.

بقيت مدى الدهر وعلمك راسخ  
وخيرك ممدود وليلك عامر  
ويقفونراك البحر والبحر زاهر  
كما تتوالى في العقود الجواهر  
وهنئت أيامًا توالي نشاطها



١ - انظر جواهر الأدب ٢ / مع تغيير الكلمات لتناسب المقام.





## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاه والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد :

فقد عرفنا من خلال الصفحات التي مضت خطورة الفتور، وأثاره على الفرد والمجتمع، وهذا يتجلى من معرفة المظاهر والأسباب، ثم اتضحت لنا وسائل الوقاية والعلاج.

وفي هذه الخاتمة أوضح مسألة قد تغيب عن كثير من الناس ألا وهي أهمية المبادرة إلى العلاج، بل وجوب ذلك تبعاً لوجوب الدعوة، ووجوب حماية النفس من سبل الانحراف.

إن الكثير منا قد يكتشف أنه وقع في دائرة الفتور، ومن ثم عرف السبب والعلاج، ولكنه لا يسارع إلى طريق النجاة وسبل الخلاص.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا فُؤُلَّا نَفْسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (سورة التحريم، الآية: ٦). ومما هو مقرر في قواعد الشريعة أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والله أمرنا بالمسارعة والمسابقة إلى الخيرات، فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٣٣). وقال جل وعلا: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ





رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرَضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ (سورة الحديد، الآية: ٢١). وأتش على المؤمنين فقال: ﴿أُولَئِكَ يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَيِّقُونَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية: ٦١).

والذي يتأمل في كثير من مظاهر الفتور وأسبابه يجد أن كل واحد منها يمثل ذنباً، ومعصية تجب التوبة منها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصْوَحاً﴾ (سورة التحرير، الآية: ٨). وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. والنجاة من الفتور والسلامة منه إما أن يكون إقلالاً من ذنب أو مسارعة إلى خير، وكلاهما أمران مشروعان يدوران بين الوجوب والندب.

ومن هنا فإني أوجه عنابة طلاب العلم والدعاة والمربين للعناية بموضوع الفتور بياناً وتشخيصاً وتحذيراً من آثاره وعواقبه، وكذلك عليهم أن يحتوا الناس للمبادرة إلى تلافيه والخلاص منه.

وأخص المربين بأن يوجهوا اهتمامهم لدراسة مظاهر الفتور وأسبابه، ومن ثم سبل الوقاية منه، وذلك حماية لتلاميذهم من الوقوع فيه؛ حتى لا تذهب الجهد هدراً.

وأخيراً فإن على الشباب بصفة خاصة أن يولوا هذا الموضوع حقه؛ صيانة لأنفسهم، ومعرفة للشر قبل وقوعه، ويتأكد هذا وهم في فترة





النشاط والحماسة، فإن لكل عمل شرّه ولكل شرّه فترة، كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ<sup>(١)</sup>.

إن هذه اليقظة المباركة والصحوة الرائدة تحتاج إلى حماية من داخلها وخارجها، ومن أعظم ما يهددها من الداخل أن يسري الفتور إلى جسدها، ويدب في أوصالها ومجاذيبها، هنالك يهون على الأعداء تحقيق مآربهم، والوصول إلى غایاتهم، وعندئذ ستجد من يلقي باللائمة عليهم، وكأنه لم يفقه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبَّتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبَّتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْمَمْ أَنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾. (سورة آل عمران، الآية: ١٦٥).

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة؛ تبليغاً وتبيهاً وتذكيراً وتعليناً وتحذيراً.

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد.

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



١ - تقدم تحريرجه.





## الفهرس

|     |                                 |
|-----|---------------------------------|
| ٥   | المقدمة ..                      |
| ١٠  | أهمية الموضوع ..                |
| ١٤  | الفتور ..                       |
| ١٦  | أقسام الفتور ..                 |
| ٢٠  | أدلة الفتور في الكتاب والسنة .. |
| ٢٥  | مظاهر الفتور ..                 |
| ٣٢  | أسباب الفتور ..                 |
| ٨١  | علاج الفتور ..                  |
| ١٢٠ | الخاتمة ..                      |
| ١٢٣ | الفهرس ..                       |



